اجتماع الجيوش الإسلاميّة
على غزو المعطلة والجهميّة

أبو عبد الله شمس الدين محمد بن
أبي بكر بن أيوب
بن سعد الذرعي ثم الدمشقي الشهير
بابن قيم الجوزية
(٦٩١هـ - ٧٥١هـ)

تحقيق وتعليق
سليم الهلالي

الدار السلفيّة

مهذب

اجتماع الجيوش الإسلاميّة
على غزو المعطلة والجهميّة

أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب
بن سعد الذرعي ثم الدمشقي الشهير بابن قيم الجوزية
(٦٩١هـ - ٧٥١هـ)

تحقيق وتعليق
سليم الهلالي

الدار السلفيّة

اجتماع الجيوش الإسلامية
على غزو المعطلة والجهمية

أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب
بن سعد الذرعي ثم الدمشقي الشهير بابن قيم الجوزية
(٦٩١هـ - ٧٥١هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

الناشر
الدار السلفية

حولي - شارع تونس مقابل محافظة حولي
تلفون: ٢٦١٧٤٢٠
ص.ب: ٢٠٨٥٧ الصفاة - الكويت
الرمز البريدي 13069 الصفاة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً رسول الله.

أما بعد. فقد عاش الصحابة رضوان الله عليهم وتابعوهم بإحسان في القرون المشهود لها بالبر والتقوى والعلم النافع واستقوا من ذلك النور الرباني المنزل على خاتم الانبياء والمرسلين، فتبؤوا مكاناً علياً، وكانوا خير أمة أخرجت للناس تأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر وتؤمن بالله إيماناً سلم من أيادي الزندقة والضلال فعم الخير وخفقت رايات النصر.

ولكن قوماً من نوابت أهل الملل والمعتقدات والأهواء لم يَعْمرْ الإيمانُ قلوبَهم عضهم الحقد بنابه خاضوا في الله ذاتاً وصفاتاً ابتغاء الفتنة؛ فأيقظوا فلسفة اليونان، وزندقة المجوس، وأعادوها جذعةً فأضحى الناس يومئذٍ شيعاً وأحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون.

وصمدت صفوة من العلماء جردوا القلم من غمده وأمعنوا في تضليل المأولين نحراً وتقتيلاً.

ومن هؤلاء العدول الإمام الرباني شيخ الإسلام الثاني

ابن قيم الجوزية رحمه الله الذي ألف «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» لبتر أنامل أهل البغي والفساد، ففصل القول في مسألة العلو التي تعد بحق من لباب العقيدة فدرج على منهج السلف الصالح ونصره، ودافع دفاعاً تحمد عقباه، وأبلى بلاءً حسناً بأسلوب يفيض حيوية ويشتعل حماساً متدفقاً بعلاج أمراض القلب التي تجتاله عن المحجة البيضاء، فلا عجب أن نرى مؤلفاته تعيش إلى يوم الناس هذا ـ رغم كيد الأفاكين ـ وهي محل إعجاب وروعة وتأثير عميق من كافة طبقات الأمة الإسلامية.

ورحم الله الشوكاني إذ قال في «البدر الطالع» (٢/ ١٤٤ ـ ١٤٥): «وله من حسن التصرف مع العذوبة الزائدة وحسن السياق ما لا يقدر عليه غالب المصنفين بحيث تعشق الأفهام كلامه وتميل إليه الأذهان وتحبه القلوب وليس له على غير الدليل معول في الغالب. . .»

ولما كان الأمر بآخره وسعى دعاة في أثواب زهاد للكيد في عقيدة السلف الصالح لم يعد أمام طلبة العلم الشرعي إلا أن يبعثوا تراث السلف الصالح تحقيقاً واختصاراً وتهذيباً.

ولقد وفقني الله ـ وله الحمد والمنة ـ فهذبت «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» مقرباً هذه المسألة الهامة إلى الناشئة وأرجو الله أن يثبت قدمي على دينه بفهم الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم القويم إلى يوم الدين.

الكتاب ومنهجي في تهذيبه

طبع الكتاب عدة مرات. وابن قيم الجوزية لم يسمه بهذا الأسم في فاتحة الكتاب ولكن صرح باسمه في «الفوائد» (ص ٤) فقال: «وقد ذكرت ما تضمنت الآية من الأسرار والعبر في كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية».

ووجدت هذه الأسرار والعبر مفصلة أجمل تفصيل ومبنية أحسن بيان في مقدمة الكتاب فكان الأمر كما وصف رحمه الله.

وأشار ابن قيم الجوزية رحمه الله إلى موضوع الكتاب في كتابه « حادي الأرواح» (ص ٣٣١ ـ طبع صبيح) فقال: «وقد جمعت في مسألة علو الرب تعالىٰ على خلقه واستوائه على عرشه وحدها سفراً متوسطاً».

● وقد اعتمدت على أربع نسخ مطبوعة للوصول إلى نص موثق

أ ـ الطبعة الهندية سنة ١٣١٤هـ

ب ـ الطبعة المنيرية بمصر سنة ١٣٥١هـ

ت ـ طبعة مكتبة الرياض الحديثة دون تاريخ

ث ـ طبعة دار الكتب العلمية ١٤٠٤هـ

● مقدمة المصنف وهي طويلة وذات فوائد حذفت منها الأحاديث الضعيفة وما تعلق بها.

● الآيات الدالة على علو الرب تعالىٰ على خلقه واستوائه على عرشه أبقيت ما هو نص في المسألة.

● الأحاديث النبوية اعتمدت على الصريحة الصحيحة في

أن الله في السماء.

● أما أقوال الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة فقد اقتصرت على أشهرها ورتبتهم في طبقات: الصحابة ثم التابعين ثم الأئمة الأربعة وأشهر تلاميذهم.

● ثم أوردت أقوال أئمة اللغة والتفسير.

● خرجت جميع الأقوال والآثار والأحاديث التي أثبتها واعتمدت عليها حسب قواعد علم الحديث الشريف وتكلمت عليها بإسهاب في أكثر المواطن وباختصار في أخرى قليلة.

وأرجو الله أن ينفع بهذا «المهذب» أقواماً تثبيتاً وبياناً للحق الذي ندين الله به.

ترجمة ابن قيم الجوزيه[1]

● نَسَبُه ونِسْبَتُه

هو أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد[2] الزُّرعي[3] ثم الدمشقي[4] الشهير بابن قيم الجوزية[5] لا غير خلافاً للكوثري الذي نبزه بابن زفيل على تفصيل ذكره بكر بن

---

(١) مصادر ترجمته: «البداية والنهاية» لابن كثير (٢٣٤/١٤)، «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب (٤٤٧/٢)، «البدر الطالع» للشوكاني (١٤٣/٢)، «طبقات المفسرين» للدّاوودي (٩٣/٢)، «أبجد العلوم» لصديق حسن خان (١٣٨/٣)، «شذرات الذهب» لابن عماد الحنبلي (١٦٨/٦)، «بغية الوعاة» للسيوطي (٦٢/١)، «الرد الوافر » لابن ناصر الدين الدمشقي (ص ٦٨).

(٢) اتفقت مصادر ترجمته على جر نسبه إلى جد أبيه (سعد) ثم اختلفت.

(٣) ولادةً، نسبة إلى زُرع قرية من أعمال حوران .

(٤) انتقالاً وإقامةً ووفاةً.

(٥) إذ كان أبوه رحمه الله قيماً على المدرسة الجوزية فقيل له: قَيِّم الجوزية واشتهرت ذريته من بعده بذلك فكان يقال للواحد منهم : ابن قَيِّم الجوزية.
والجوزية من أعظم مدارس الحنابلة بدمشق الشام نسبةً إلى واقفها يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزي رحمه الله.
ولا يزال موقعها معروف في حي البزورية المسمى قديماً سوق القمح، وقد اختلس جيرانها معظمها وبقي منها بقية، ثم صارت محكمة سنة ١٣٢٧هـ ثم اقفلت مدة إلى أن فتحتها جمعية الإسعاف الخيري مدرسة لتعليم الأَطفال، وقد احترقت سنة ١٩٢٥م أثناء الثورة السورية على الفرنسيين ثم أُعيد بناؤها. أفاده ابن بدران في «منادمة الأطلال» (ص ٢٢٧)، ومحمد مسلم الغنيمي في «ابن قيم الجوزية» (ص ١٠٠).

عبـدالله أبو زيـد في كتابـه القيم «ابن القيم حياتـه وآثـاره» (ص ١٨ ـ ٢٠) فجزاه الله خيراً.

● **ولادته**

ولد رحمه الله في السابع من شهر صفر الخير سنة ٦٩١هـ.

طلبه للعلم

عُرِف عن ابن قيم الجوزية الرغبة الصادقة الجامعة في طلب العلم، والجلد والتفاني في البحث منذ نعومة أظفاره، فقد سمع من الشهاب العابر المتوفي سنـة ٦٩٧هـ فقال رحمـه الله في «زاد المعاد» (٣/٣٣): «وسمعت عليه عدة أجزاء ولم يتفق لي قراءة هذا العلم عليه لصغر السن واخترام المنية له رحمه الله».

وبهـذا يكون ابن قيم الجـوزية قـد بـدأ الـطلب لسبـع سنين مضت من عمره.

● **رحلاته**

قدم ابن القيم رحمه الله القاهرة غير مرة وناظر وذاكر قال في «إغـاثة اللهفـان» (١/١٧): «وذاكرت مـرة بعض رؤساء الـطب بمصر...».

وقـال في «هـدايـة الحيـارى» (ص ٨٧): «وقـد جـرت لي مناظرة بمصر مع أكبر من يشير إليه اليهود بالعلم والرياسة».

وكان رحمه الله كثيـر الحـج والمجـاورة كما ذكـر في بعض كتبه مثل «مدارج السالكين» (١/٥٧ ـ ٥٨).

وقـال ابن رجب في «زيـل طبقـات الحنـابلة» (٢/٤٤٨):

«وحج مرات كثيرة وجاور بمكة وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة وكثرة الطواف أمراً يتعجب منه».

● مكتبته

كان ابن قيم الجوزية رحمه الله مُغرماً بجمع الكتب وهذا دليل الرغبة الصادقة للعلم بحثاً وتصنيفاً وقراءة وإقراءً يظهر ذلك في غزارة المادة في مؤلفاته والقدرة العجيبة عن حشد الأدلة وحسبك أن تعلم أن موارده في أصل مهذبنا هذا الذي بين يديك اكثر من مائة كتاباً وهاك إياها مرتبة على حروف المعجم.

١ ـ آداب المريدين لأحوال العبادة لابن عبدالله محمد بن عثمان المالكي.

٢ ـ الإبانة لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري.

٣ ـ الإبانة لأبي الطيب الباقلاني.

٤ ـ الإبانة لأبي عبدالله بن بطة.

٥ ـ إثبات العلو لأبي منصور عبدالله محمد الوليد.

٦ ـ إثبات صفة العلو لأبي محمد عبدالله بن أحمد المقدسي.

٧ ـ أجوبة في السنة لسعد بن علي الزنجاني.

٨ ـ الأجوبة المصرية لابن تيمية.

٩ ـ اختلاف الفقهاء لزكريا بن يحيى الساجي.

١٠ ـ الإرشاد لأبي المعالي الجويني.

١١ ـ الاستيعاب لابن عبد البر.

١٢ ـ الاسماء والصفات للبيهقي.

١٣ ـ الأصول لأبي عمرو الطلمنكي.

١٤ ـ اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات لأبي عبدالله بن خفيف الشيرازي.
١٥ ـ اقسام اللذات فخر الدين الرازي.
١٦ ـ الأمالي لأبي الحسن الأشعري.
١٧ ـ الاهتداء لأهل الحق والاقتداء لأبي القاسم عبدالله بن خلف المقري الأندلسي.
١٨ ـ الإيمان إلى مسئلة الإستواء لأبي بكر الحضرمي.
١٩ ـ البيان لأبي الحسن العمراني اليمني الشافعي.
٢٠ ـ تاريخ بغداد لأبي بكر الخطيب.
٢١ ـ تاريخ ابن ابي خيثمة.
٢٢ ـ التاريخ الكبير للبخاري.
٢٣ ـ التاريخ الكبير لابن عساكر.
٢٤ ـ تاريخ نيسابور للحاكم.
٢٥ ـ التبصير في معالم الدين محمد بن جرير الطبري.
٢٦ ـ تبين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري لأبي القاسم بن عساكر.
٢٧ ـ تحريم اللواط لأبي هيثم بن خلف الدوري.
٢٨ ـ تحفة المتقين وسبيل العارفين عبد القادر الجيلاني.
٢٩ ـ الترغيب والترهيب إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي.
٣٠ ـ تفسير ابن جرير الطبري.
٣١ ـ تفسير الثعلبي لابن إسحاق أحمد بن محمد.
٣٢ ـ تفسير ابن أبي حاتم.
٣٣ ـ تفسير سنيد بن داود شيخ البخاري.

٣٤ ـ تفسير القرطبي .
٣٥ ـ التمهيد لابن عبد البر .
٣٦ ـ التمهيد في أصول الدين لأبي بكر الطيب الباقلاني الأشعري .
٣٧ ـ التهذيب للأزهري .
٣٨ ـ كتاب التوحيد لابن خزيمة .
٣٩ ـ الجامع للخلال .
٤٠ ـ الجامع الكبير للحسين بن أحمد الأشعري .
٤١ ـ الجامع الصغير للحسين بن أحمد الأشعري .
٤٢ ـ الجمع بين الصحيحين لعبد الحق .
٤٣ ـ جوابات المسائل التي سئل عنها أبو العباس من شريج رواية أبي القاسم سعد بن علي بن محمد الزنجاني .
٤٤ ـ الحجة في بيان المحجة اسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي .
٤٥ ـ حلية الأولياء لأبي نعيم .
٤٦ ـ خلق أفعال العباد للبخاري .
٤٧ ـ ذم الكلام وأهله للهروي .
٤٨ ـ الرد على الجهمية لأحمد بن حنبل .
٤٩ ـ الرد على الجهمية لعبد الرحمن بن أبي حاتم .
٥٠ ـ الرد على الجهمية لعبد العزيز بن يحيى الكناني .
٥١ ـ الرد على الجهمية لعثمان بن سعيد الدارمي .
٥٢ ـ الرد على الجهمية لابن عرفة .
٥٣ ـ الرد على الجهمية لإبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي المعروف بنفطويه .

٥٤ ـ رسالة في السنة ليحيى بن عمار السجزي.
٥٥ ـ رسالة في السنة لأبي عثمان اسماعيل الصابوني.
٥٦ ـ رسالة في السنة للمزني أبي ابراهيم اسماعيل بن يحيى.
٥٧ ـ رسالة في مجمل اعتقاد السلف لابن الحداد إلى أحمد بن الحسين الشافعي.
٥٨ ـ الرسالة لأبي محمد عبدالله بن أبي يزيد القيرواني.
٥٩ ـ الرسالة القديمة للشافعي.
٦٠ ـ الرسالة النظامية في الأركان الخمسة لأبي المعالي الجويني.
٦١ ـ كتاب الزهد لأحمد بن حنبل.
٦٢ ـ السنن للأثرم.
٦٣ ـ السنة لعبدالله بن الإمام أحمد.
٦٤ ـ السنة للخلال.
٦٥ ـ السنة لابن ابي حاتم.
٦٦ ـ السنة للطبري الشافعي.
٦٧ ـ السنة للالكائي.
٦٨ ـ السنة لأبي محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني.
٦٩ ـ سير الفقهاء ليحيى بن إبراهيم الطليطلي.
٧٠ ـ شرح الأسماء الحسنى للقرطبي.
٧١ ـ شرح الرسالة لابن ابي زيد القيرواني.
٧٢ ـ شرح السنة للطبراني.
٧٣ ـ الشريعة لأبي بكر الآجريّ.
٧٤ ـ صريح السنة لمحمد بن جرير الطبري.

٧٥ ـ طبقات أصحاب الشافعي لأبي إسحاق الشيرازي.
٧٦ ـ كتاب العرش لابن أبي شيبة.
٧٧ ـ كتاب العظمة لأبي الشيخ ابن أبي محمد بن حيان الأصبهاني.
٧٨ ـ العقيدة لابن قدامة.
٧٩ ـ العقيدة لأبي جعفر الطحاوي.
٨٠ ـ علل الحديث لزكريا بن يحيى الذهلي.
٨١ ـ العمدة في الرؤية لأبي الحسن الأشعري.
٨٢ ـ الفيلانيات لأبي بكر البزار الشافعي.
٨٣ ـ الفاروق للهروي.
٨٤ ـ فرع الصفات في تقريع نفات الصفات إمام الصوفية في وقته أبي العباس أحمد بن محمد المظفري المختار الرازي.
٨٥ ـ الفقه الأكبر مشهور عند أصحاب أبي حنيفة.
٨٦ ـ قصيدة في السنة وشرحها لسعد بن علي الزنجاني.
٨٧ ـ كتاب في أصول الدين لأبي عمر وعثمان بن أبي الحسن بن الحسين السهرَوَردي.
٨٨ ـ كتاب في أصول السنة لأبي عبدالله محمد بن أبي نعيس المالكي.
٨٩ ـ كتاب في أصول الفقه لأبي أحمد الإسفرائيني.
٩٠ ـ كتاب في السنة لأبي الحسين العمراني اليمني الشافعي.
٩١ ـ الكشف عن مناهج الأدلة لأبي الوليد بن رشد المالكي.
٩٢ ـ الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي.

٩٣ ـ المجرد لابن فروك .
٩٤ ـ مختصر المدونة لأبي محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني .
٩٥ ـ مسائل الإمام أحمد رواية حرب .
٩٦ ـ مسند الحارث بن أبي أسامة .
٩٧ ـ مسند الحسن بن سفيان .
٩٨ ـ معالم التنزيل للبغوي .
٩٩ ـ كتاب المعرفة لأبي أحمد العسال .
١٠٠ ـ معرفة علوم الحديث للحاكم .
١٠١ ـ المغازي ليحيى بن سعيد الأموي .
١٠٢ ـ مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري .
١٠٣ ـ الملخص لأبي الحسن القابسي .
١٠٤ ـ منازل السائرين للهروي .
١٠٥ ـ مناقب الإمام أبي القاسم اسماعيل بن محمد التميمي : للحافظ أبي موسى المديني .
١٠٦ ـ الموجز لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري .
١٠٧ ـ كتاب نزول الرب عز وجل كل ليلة إلى سماء الدنيا للدارقطني .
١٠٨ ـ النقض للدارمي عثمان بن سعيد .
١٠٩ ـ النوادر لأبي محمد عبدالله بن زيد القيرواني .

وقد وصف تلاميذه رحمهم الله مكتبته فأجادوا :

قال ابن رجب رحمه الله في «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/٤٤٩) : «وكان شديد المحبة للعلم وكتابته ومطالعته

وتصنيفه واقتناء الكتب واقتنى من الكتب ما لم يحصل لغيره».

وقال ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» (١٤/ ٢٣٥): «واقتنى من الكتب ما لا يتهيأ لغيره تحصيل عشره من كتب السلف والخلف».

قلت: ومع هذا كله يقول في «إغاثة اللهفان» (١/ ٣٢٩) بتواضع جم: «... بحسب بضاعتنا المزجاة من الكتب».

ورحم الله شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله القائل في «الوصية الصغرى» (ص ٦١ بتحقيقي): «... فمن نور الله قلبه هداه بما يبلغه من ذلك ومن أعماه لم تزده كثرة الكتب إلا حيرة وضلالاً ...».

● مشاهير شيوخه

تلقى ابن قيم الجوزية رحمه الله العلم على كثير من المشايخ ومن أشهرهم:

١ ـ قيم الجوزية والده رحمه الله.

٢ ـ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لازمه وتفقه به وقرأ عليه كثيراً من الكتب وبدأت ملازمته سنة ٧١٢هـ حتى توفي شيخ الإسلام سجيناً في قلعة دمشق ٧٤٨هـ.

٣ ـ المزي رحمه الله.

● تلاميذه

١ ـ ابن رجب قال في «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨ و٤٥٠): «ولازمت مجالسه قبل موته أزيد من سنة وسمعت عليه قصيدته النونية الطويلة في السنة وأشياء من تصانيفه

وغيرها».

٢ ـ ابن كثير رحمه الله قال في «البداية والنهاية» (١٤/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥): «وكنت من أصحب الناس له وأحب الناس إليه».

٣ ـ الذهبي رحمه الله ترجم لابن قيم الجوزية في المعجم المختص بشيوخه.

٤ ـ ابن عبد الهادي رحمه الله قال ابن رجب في «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٤٩) «وكان الفضلاء يعظمونه ويتتلمذون له كابن عبد الهادي وغيره».

٥ ـ الفيروز أبادي صاحب القاموس المحيط.

قال الشوكاني في «البدر الطالع» (٢/ ٢٨٠): «ثم ارتحل إلى دمشق فدخلها سنة ٧٥٥ فسمع من التقي السبكي وجماعة زيادة عن مائة كابن القيم وطبقته».

● **مؤلفاته**

ضرب ابن قيم الجوزية بحظ وافر في علوم شتى يظهر هذا الأمر جلياً لمن استقصى كتبه التي كانت للمتقين إماماً وأفاد منها المآلق والمخالف قال ابن حجر رحمه الله: «ولو لم يكن للشيخ تقي الدين من المناقب إلا تلميذه الشهير الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية صاحب التصانيف النافعة السائرة التي انتفع بها الموافق والمخالف لكان غاية في الدلالة على عظم منزلته» كما نقله صاحب الرد الوافر » (ص ١٤٦).

وإليك أشهرها مرتبة على حروف المعجم:

١ ـ اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية.

٢ ـ أحكام أهل الذمة.
٣ ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين.
٤ ـ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان.
٥ ـ بدائع الفوائد.
٦ ـ تحفة المودود في أحكام المولود.
٧ ـ تهذيب مختصر سنن أبي داود.
٨ ـ جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام.
٩ ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح.
١٠ ـ حكم تارك الصلاة.
١١ ـ روضة المحبين ونزهة المشتاقين.
١٢ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد.
١٣ ـ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل.
١٤ ـ الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة.
١٥ ـ الطرق الحكمية في السياسة الشرعية.
١٦ ـ عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين.
١٧ ـ الفروسية.
١٨ ـ الكافية الشافية في الإنتصار للفرقة الناجية (القصيدة النونية).
١٩ ـ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين.
٢٠ ـ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والارادة.
٢١ ـ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى.
٢٢ ـ الوابلَ الصيب في الكلم الطيب.

● **محنة وثبات**

١ ـ حبس مع شيخه ابن تيمية في المرة الأخيرة في القلعة منفرداً عنه بعد أن أهين وطيف به على جمل مضروباً بالدرة سنة ٧٢٦هـ ولم يفرج عنه إلا بعد موت شيخه سنة ٧٢٨هـ.

٢ ـ وحبس مرة لإنكاره شد الرحال إلى قبر الجليل.

● **وفاته**

توفي رحمه الله ليلة الخميس ثالث عشرين من رجب الفرد سنة إحدى وخمسين وسبع مائة رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى وجمعنا وإياه في عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا.

« مهذب اجتماع الجيوش الإسلامية
على
غزو المعطلة والجهمية »

الله سبحانه المسؤول المرجو الإجابة أن يمتعكم بالإسلام والسُّنَّة والعافية فإن سعادةَ الدنيا والآخرة ونعيمَهما وفوزَهما مبنيٌ على هذه الأركان الثلاثة، وما اجتمعن في عبدٍ بوصف الكمال إلا وقد كملت نعم الله عليه، وإلا فنصيبه من نعمة الله بحسب نصيبه منها.

والنعمة نعمتان: نعمة مطلقة ونعمة مقيدة؛ فالنعمة المطلقة هي المتصلة بسعادة الأبد وهي الإسلام والسُّنَّة، وهي التي أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نسأله في صلواتنا أن يهدينا صراط أهلها، ومن خصهم بها، وجعلهم أهل الرفيق الأعلى حيث يقول تعالى: ﴿**ومن يطع الله والرسولَ فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً**﴾: [النساء: ٦٩] فهؤلاء الأصناف الأربعة هم أهل هذه النعمة

المطلقة وأصحابها أيضاً هم المعنيون بقول الله تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾: [المائدة: ٣] فأضاف الدين إليهم أذ هم المختصون بهذا الدين القيم دون سائر الأمم، والدين تارة يضاف إلى العبد، وتارة يضاف إلى الرب، فيقال: الإسلام دين الله الذي لا يقبل من أحد ديناً سواه، ونسب الكمال إلى الدين، والتمام إلى النعمة مع إضافتها إليه، لأنه هو وَليها ومُسديها إليهم، وهم محل محض النعمة قابلين لها، وأما الدين فلما كانوا هم القائمين به،

الفاعلين له بتوفيق ربهم نسبه إليهم، فقال: ﴿**أكملت لكم دينكم**﴾ وكان الاكمال في جانب الدين والتمام في جانب النعمة، واللفظتان وإن تقاربتا وتواخيتا فبينهما فرق لطيف يظهر عند التأمل، فإن الكمال أخص بالصفات والمعاني، ويطلق على الأعيان والذوات، ولكن باعتبار صفاتها وخواصها، كما قال النبي ﷺ: «كَمَلَ من الرجال كثيرٌ ولم يَكْمُل من النساء إلا مريم بنت عمرانَ وآسية بنت مُزاحم وخديجة بنتُ خُويْلد»[٦] وأما التمام فيكون في الأعيان والمعاني، ونعمة الله أعيان وأوصاف ومعانٍ، وأما دينه فهو شرعة المتضمن لأمره ونهيه ومحابه، فكانت نسبة الكمال إلى الدين والتمام إلى النعمة أحسن، كما كانت إضافة الدين إليهم والنعمة إليه أحسن، والمقصود أن هذه النعمة هي النعمة المطلقة وهي التي اختصت بالمؤمنين، واذا قيل ليس لله على الكافر نعمة بهذا الاعتبار فهو صحيح.

والنعمة الثانية: النعمة المقيدة كنعمة الصحة والغنى، وعافية الجسد وتبسط الجاه، وكثرة الولد، والزوجة الحسنة، وأمثال هذه، فهذه النعمة مشتركة بين البر والفاجر، والمؤمن والكافر واذا قيل لله على الكافر نعمة بهذا الاعتبار فهو حق لا يصح إطلاق السلب والإيجاب إلا على وجه واحد، وهو أن النعمة المقيدة لما كانت استدراج.

---

(٦) أخرجه البخاري (٦/٤٤٦ و ٤٧١ - ٧/١٢٦ ، ٩/٥٥١ - الفتح) ، و (١٥/١٩٨ - ١٩٩ - نووي) ، والترمذي (١٨٣٤) ، وابن ماجه (٣٢٨٠) ، وأحمد (٤/٣٩٤ ، ٤٠٩) ، والبغوي في «شرح السنة» (١٤/١٦٣) ، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/٩٩).

وهذه النعمة المطلقة التي يفرح بها في الحقيقة، والفرح بها مما يحبه الله ويرضاه وهو لا يحب الفرحين قال الله تعالى: ﴿**قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون**﴾: [يونس: ٥٨] وفضل الله ورحمته الإسلام والسُّنَّة، وعلى حسب حياة القلب يكون فرحه بهما، وكلما كان أرسخ فيهما كان قلبه أشد فرحاً حتى إن القلب إذا باشر روح السُّنَّة ليرقص فرحاً أحزن ما يكون الناس.

فإن السُّنَّةَ حصنُ الله الحصين الذي من دخله كان من الآمين وبابه الأعظم الذي من دخله كان إليه من الواصلين، تقوم بأهلها وإن قعدت بهم أعمالهم، ويسعى نورها بين أيديهم إذا اطفئت لأهل البدع والنفاق أنوارهم، وأهل السنَّة هم المبيضة وجوههم إذا اسودت وجوه أهل البدعة. قال تعالى: ﴿**يوم تبيض وجوه وتسود وجوه**﴾: [آل عمران: ١٠٦] وهي الحياة والنور اللذان بهما سعادة العبد وهداه وفوزه، قال تعالى: ﴿**أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلماتِ ليس بخارج منها**﴾: [**الأنعام: ١٢٢**] **فصاحب السنة حي القلب مستنيره، وصاحب البدعة ميت القلب مظلمه، وقد ذكر الله سبحانه هذين الأصلين في كتابه في غير موضع وهو صفة**

أهل الإيمان، وجعل ضدهما صفة من خرج عن الإيمان.

فإن القلب الحي المستنير هو الذي عقل عن الله وفهم عنه وأذعن وانقاد لتوحيده ومتابعة ما بعث به رسوله ﷺ.

والقلب الميت المظلم الذي لم يعقل عن الله، ولا انقاد لما بعث به رسول الله ﷺ، ولهذا يصف سبحانه وتعالىٰ هذا الضرب من الناس بأنهم أموات غير أحياء، وبأنهم في الظلمات لا يخرجون منها، ولهذا كانت الظلمة مسؤولية عليهم في جميع جهاتهم، فقلوبهم مظلمة ترى الحق في صورة الباطل، والباطل في صورة الحق، وأعمالهم مظلمة وأقوالهم مظلمة، وأحوالهم كلها مظلمة، وقبورهم ممتلئة عليهم ظلمة، وإذا قسمت الأنوار دون الجسد للقبور عليه بقوا في الظلمات، ومدخلهم في النار مظلم، وهذه الظلمة هي التي خلق فيها الخلق أولاً، فمن أراد الله سبحانه وتعالىٰ به السعادة أخرجه منها إلى النور.

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما **عن** النبي ﷺ أنه قال: «إن الله خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نُوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل»[7].

فلذلك أقول جف القلم على علم الله، وكان النبي ﷺ يسأل الله تعالى أن يجعل له نوراً في قلبه، وسمعه، وبصره، وشعره، وبشره، ولحمه، وعظامه، ودمه، ومن فوقه، ومن تحته، وعن

(٧) صحيح ـ أخرجه الترمذي (٢٦٤٢)، وأحمد (٢/١٧٦و١٩٧)، والحاكم (١/٣٠) وقال صحيح ووافقه الذهبي، وابن حبان (١٨١٢ ـ موارد) والآجري في «الشريعة» (ص ١٧٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/١٠٧ ـ ١٠٨)، والهروي في «الأربعين في دلائل التوحيد» (رقم ٢٤١ ـ ٢٤٢).

يمينه، وعن شماله، وخلفه، وأمامه، وأن يجعل ذاته نوراً، فطلب ﷺ النور لذاته، ولأبعاضه ولحواسه الظاهرة والباطنة، ولجهاته الستة[8].

وقال تعالى: ﴿**الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات**﴾: [البقرة: ٢٥٧]، فأولياؤهم يعيدونهم إلى ما خلقوا فيه من ظلمة طبائعهم وجهلهم وأهوائهم، وكلما أشرق لهم نور النبوة، والوحي وكادوا أن يدخلوا فيه منعهم أولياؤهم منه وصدوهم، فذلك إخراجهم إياهم من النور إلى الظلمات.

وقال تعالى: ﴿**أومن كان ميتاً وأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها**﴾: [الأنعام: ١٢٢] فأحياؤه سبحانه وتعالىٰ بروحه الذي هو وحيه، وهو روح الإيمان والعلم، وجعل له نوراً يمشي به بين أهل الظلمة كما يمشي الرجل بالسراج المضيء في الليلة الظلماء فهو يرى أهل الظلمة في ظلامتهم، وهم لا يرونه كالبصير الذي يمشي بين العميان.

والخارجون عن طاعة الرسل صلوات الله وسلامه عليه ومتابعتهم يتقبلون في عشر ظلمات: ظلمة الطبع، وظلمة الجهل، وظلمة الهوى، وظلمة القول، وظلمة العمل، وظلمة المدخل، وظلمة المخرج، وظلمة القبر، وظلمة القيامة ، وظلمة دار القرار. فالظلمة لازمة لهم في دورهم الثلاثة .

(٨) انظر «صحيح الجامع الصغير» (١٢٧٠).

وأتباع الرسـل صلوات الله وسلامـة عليهم يتقلبون في عشرة أنوار ولهذه الأمة من النور ما ليس لأمة غيرها ، ولنبيها ﷺ من النور ما ليس لنبي غيره .

وقال تعالى : ﴿**يا أيها الـذين آمنوا اتقـوا الله وآمنوا بـرسولـه يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون بـه ويغفر لكم والله غفور رحيم**﴾ : [الحديد : ٢٨] .

وفي قوله : ﴿**تمشون به**﴾ إعـلام بأن تصـرفهم وتقبلهم الذي ينفعهم إنما هو النـور، وأن مشيهم بغير النـور غير مجـد عليهم ، ولا نافع لهم، بل ضـرره أكثر من نفعه، وفيـه أن أهل النـور هم أهل المشي في الناس، ومن سواهم أهل الـزمانـة والانقطاع فـلا مشي لقلوبهم ولا لأحـوالهم ولا لأقـوالهم ولا لأقـدامـهم إلـى الطاعات، وكذلك لا تمشي على الصراط إذا مشت بأهـل الأنوار أقدامهم .

وفي قـوله : ﴿**تمشـون به**﴾ نكتـة بديعـة : وهي أنهم يمشون على الصراط بأنـوارهم، كما يمشـون بها بين النـاس في الدنيـا ، ومن لا نـور لـه فـإنـه لا يستـطيـع أن ينقـل قـدمـاً عن قـدم على الصراط، فلا يستطيع المشي أحوج ما يكون إليه .

فصل

والله سبحانه وتعالى سمى نفسه نوراً، وجعل كتابه نوراً، ورسوله ﷺ نوراً، ودينه نوراً واحتجب من خلقه بالنور، وجعل دار أوليائه نوراً يتلألأ.

قال الله تعالى: **﴿الله نور السَّماوات والأرض، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري، يوقد من شجرة مباركة، زيتونة لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء، ويضرب الله الأمثال للناس، والله بكل شيء عليم﴾**: [النور: ٣٥].

وقد فسر قوله تعالى: **﴿الله نور السموات والأرض﴾** بكونه منور السماوات والأرض، وهادي أهل السماوات والأرض، فبنوره اهتدى أهل السماوات والأرض، وهذا إنما هو فعله، وإلا فالنور الذي هو من أوصافه قائم به، ومنه اشتق له اسم النور الذي هو أحد الأسماء الحسنى، والنور يضاف اليه سبحانه وتعالى على أحد الوجهين إضافة صفة الى موصوفها، واضافة مفعول إلى فاعله. فالأول كقوله عز وجل: **﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾**: [الزمر: ٦٩] فهذا إشراقها يوم القيامة بنوره تعالى إذا جاء لفصل القضاء.

وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أبي موسى الأشعري

رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه »[9].

وفي صحيح مسلم، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال: «نور أنّىٰ أراه[10]، فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يقول: معناه كان ثم نور وحان دون رؤيته نور، فأنّىٰ أراه.

قال: ويدل عليه أن في بعض الألفاظ الصحيحة: هل رأيت ربك؟ فقال: «رأيت نوراً، وقد اعضل امر هذا الحديث على كثير من الناس حتى صحفه بعضهم، فقال: « نورانيّ » على انها ياء النسب والكلمة كلمة واحدة، وهذا خطأ لفظاً ومعنىً، وإنما أوجب لهم هذا الإشكال والخطأ انهم لما اعتقدوا ان رسول

(٩) أخرجه مسلم (٣/١٣ - ١٥ - نووي)، وابن ماجة (١٩٥ و١٩٦)، والبغوي في «شرح السنة» (١/١٧٣)، وأحمد (٤/٤٠١، ٤٠٥)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص ١٩ - ٢٠)، والطيالسي (٤٩١) والهروي في «الأربعين في دلائل التوحيد» (ص ٥٠) وأبو سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٣١ و٣٦ - ٣٧)، والآجري في «الشريعة» (ص ٢٩٠ و٣٠٤) وأبو عوانة (١/١٤٥ و١٤٦).

(١) أخرجه مسلم (٣/١٢ - نووي)، والترمذي (٣٢٨٢) وأحمد (٥/١٥٧ و١٧١ و١٧٥) وأبو عوانه (١/١٤٦ - ١٤٧)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢٠٥ - ٢٠٦) والطيالسي (٤٧٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/٦١) عن أبي ذر رضي الله عنه.
وقد تصحف على بعضهم «نورانيّ» وهو خطأ لفظاً ومعنى كما حققه المصنف رحمه الله تعالى.

الله ﷺ رأى ربه، وكان قوله أنّى أراه كالإنكار للرؤية حاروا في الحديث، ورده بعضهم باضطراب لفظه، وكل هذا عدول عن موجب الدليل.

وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب الرؤية له: إجماع الصحابة على أنه لم ير ربه ليلة المعراج، وبعضهم استثنى ابن عباس فيمن قال ذلك.

وشيخنا يقول: ليس ذلك بخلاف في الحقيقة، فإن ابن عباس لم يقل رآه بعيني رأسه، وعليه اعتمد أحمد في احدى الروايتين حيث قال: إنه ﷺ رآه عز وجل، ولم يقل بعيني رأسه. ولفظ أحمد لفظ ابن عباس رضي الله عنهما، ويدل على صحة ما قال شيخنا في معنى حديث أبي ذر رضي الله عنه قوله ﷺ في الحديث الآخر: حجابه نور، فهذا النور هو، والله أعلم. النور المذكور في حديث أبي ذر رضي الله عنه رأيت نوراً[11].

---

(١١)انظر لتفصيل هذه المسألة «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ١٩٦ - ١٩٧) والتحقيق الماتع الذي كتبه شيخنا في «مختصر العلو» (ص ٨٦ و١١٧ - ١٢١) والصواب أن الرسول ﷺ لم ير ربه لحديث أبي ذر رضي الله عنه ويشهد له حديث ابن عمر مرفوعاً بلفظ: «يوم القيامة أول يوم نظرت فيه عين إلى الله عز وجل» عزاه السيوطي في «الدار المنثور» (١٩١/٦) للدارقطني وما وري عن ابن عباس رضي الله عنه في هذا الباب فضعيف لاضطراب ألفاظه.

فصل

وقوله تعالى: ﴿مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾: [النور: ٣٥] هذا مثل لنوره في قلب عبده المؤمن، كما قال أبي بن كعب وغيره، وقد اختلف في مفسر الضمير في نوره، فقيل هو النبي ﷺ، اي مثل نور محمد ﷺ، وقيل: مفسره المؤمن. أي مثل نور المؤمن، والصحيح أنه يعود على الله سبحانه وتعالىٰ، والمعنى: مثل نور الله سبحانه وتعالىٰ في قلب عبده، وأعظم عباده نصيباً من هذا النور رسوله ﷺ، فهذا مع ما تضمنه عود الضمير المذكور، وهو وجه الكلام يتضمن التقارير الثلاثة، وهو أتم لفظاً ومعنى.

وهذا النور يضاف إلى الله تعالى إذ هو معطيه لعبده وواهبه إياه، ويضاف إلى العبد إذ هو محله وقابله، فيضاف إلى الفاعل والقابل، ولهذا النور فاعل وقابل ومحل وحال ومادة. وقد تضمنت الآية ذكر هذه الأمور كلها على وجه التفصيل، فالفاعل هو الله تعالى مفيض الأنوار الهادي لنوره من يشاء. والقابل: العبد المؤمن. والمحل: قلبه، والحال: همته وعزيمته وإرادته، والمادة: قوله وعمله، وهذا التشبيه العجيب الذي تضمنته الآية فيه من الأسرار والمعاني، وإظهار تمام نعمته على عبده المؤمن بما أناله من نوره ما تقر به عيون أهله، وتبتهج به قلوبهم، وفي هذا التشبيه لأهل المعاني طريقتان:

إحداهما: طريقة التشبيه المركب، وهي أقرب مأخذاً وأسلم

من التكلف، وهي أن تشبه الجملة برمتها بنور المؤمن من غير تعرض لتفصيل كل جزء من أجزاء المشبه ومقابلته بجزء من المشبه به، وعلى هذا عامة أمثال القرآن، فتأمل صفة المشكاة وهي كوة تنفذ لتكون أجمع للضوء قد وضع فيها المصباح، وذلك المصباح داخل زجاجة تشبه الكوكب الذي في صفائها وحسنها، ومادته من أصفى الأذهان وأتمها وقوداً من زيت شجرة في وسط القراح، لا شرقية ولا غربية بحيث تصيبها الشمس في إحدى طرفي النهار، بل هي في وسط القراح محمية بأطرافه تصيبها الشمس أعدل إصابة والآفاق الى الأطراف دونها، فمن شدة إضاءة زيتها وصفائها وحسنها يكاد يضيء من غير أن تمسه نار، فهذا المجموع المركب هو مثل نور الله تعالىٰ الذي وضعه في قلب عبده المؤمن وخصه به.

والطريقة الثانية: طريقة التشبيه المفصل، فقيل المشكاة صدر المؤمن والزجاجة قلبه شبه قلبه بالزجاجة لرقتها وصفائها وصلابتها، وكذلك قلب المؤمن، فإنه قد جمع الأوصاف الثلاثة، فهو يرحم ويحسن ويتحنن ويشفق على الخلق برقته وبصفائه تتجلى فيه صور الحقائق والعلوم على ما هي عليه، ويباعد الكدر والدرن والوسخ بحسب ما فيه من الصفاء، وبصلابته يشتد في أمر الله تعالىٰ، ويتصلب في ذات الله تعالىٰ، ويغلظ على أعداء الله تعالىٰ، ويقوم بالحق لله تعالىٰ وقد جعل الله تعالىٰ القلوب كالآنية، كما قال بعض السلف: القلوب آنية الله في أرضه فأحبها اليه أرقها وأصلبها وأصفاها، والمصباح هو نور الإيمان في قلبه، والشجرة المباركة: هي شجرة الوحي المتضمنة للهدى ودين الحق، وهي مادة المصباح التي يتقد منها، والنور على

النور نور الفطرة الصحيحة والادراك الصحيح، ونور الوحي الكتاب، فينضاف أحد النورين إلى الآخر، فيزداد العبد نوراً على نور، ولهذا يكاد ينطق بالحق والحكمة قبل أن يسمع ما فيه بالأثر، ثم يبلغه الأثر بمثل ما وقع في قلبه ونطق به، فيتفق عنده شاهد العقل والشرع والفطرة والوحي، فيريه عقله وفطرته وذوقه الذي جاء به الرسول ﷺ هو الحق لا يتعارض عنده العقل والنقل ألبتة، بل يتصادقان ويتوافقان، فهذا علاقة النور على النور عكس من تلاطمت في قلبه أمواج الشبه الباطلة والخيالات الفاسدة من الظنون الجهليات التي يسميها أهلها القواطع العقليات.

فهي في صدره: **﴿كظلمات في بحر لُجيّ يغشاه موجٌ من فوقه موجٌ من فوقه سحاب ظلماتٌ بعضها فوق بعض إذا أخرجَ يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾** : [النور: ٤٠]. فانظر كيف انتظمت هذه الآيات طرائق بن آدم أتم انتظام، واشتملت عليه أكمل اشتمال، فإن الناس قسمان: أهل الهدى والبصائر الذين عرفوا أن الحق فيما جاء به الرسول ﷺ عن الله سبحانه وتعالىٰ، وأن كل ما عارضه فشبهات يشتبه علىٰ من قلَّ نصيبه من العقل والسمع أمرها فيظنها شيئاً له حاصل ينتفع به.

وهي **﴿كسراب بقيعةٍ يحسبهُ الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب، أو كظلمات في بحر لُجيّ يغشاه موجٌ من فوقه موجٌ من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم**

يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾: [النور: ٣٩ ـ ٤٠].

وهؤلاء هم أهل الهدى ودين الحق أصحاب العلم النافع والعمل الصالح الذين صدقوا الرسول ﷺ في أخباره، ولم يعارضوها بالشبهات، وأطاعوه في أوامره ولم يضيعوها بالشهوات، فلا هم في علمهم من أهل الخوض الخراصين الذين هم في غمرة ساهون، ولا هم في عملهم من المستمتعين بخلاقهم الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة، وأولئك هم الخاسرون أضاء لهم نور الوحي المبين، فرأوا في نوره أهل الظلمات في ظلمات آرائهم يعمهون، وفي ضلالتهم يتهوكون، وفي ريبهم يترددون، مغترين بظاهر السراب، ممحلين مجذبين مما بعث الله تعالىٰ به رسول ﷺ من الحكمة وفصل الخطاب إن عندهم إلا نخالة الأفكار، وزبالة الأذهان التي قد رضوا بها واطمأنوا إليها، وقدموها على السنّة والقرآن **﴿إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه﴾** أوجبه لهم اتباع الهوى ونخوة الشيطان، وهم لأجله يجادلون في آيات الله بغير سلطان.

أقسام أهل الجهل

القسم الأول: أهل الجهل والظلم الذين جمعوا بين الجهل بما جاء به والظلم باتباع أهوائهم الذين قال الله تعالىٰ فيهم: **﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾**: [النجم: ٢٣]

وهؤلاء قسمان:

أحدهما: الذين يحسبون أنهم على علم وهدى، وهم أهل

الجهـل والضلال، فهؤلاء أهـل الجهـل المـركب الـذين يجهلون الحق ويعادونه، ويعادون أهله، وينصرون الباطل ويـوالون أهله، وهم يحسبــون أنهم على شيء، الا أنهم هم الكــاذبــون، فهم لاعتقـادهم الشيء على خلاف مـا هو عليـه بمنزلـة رائي السراب الذي يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءَه لم يجـده شيئاً، وهكـذا هؤلاء أعمـالهم وعلومهم بمنزلـة السراب الـذي يخـون صـاحبـه أحوج ما هو اليه ولم يقتصر على مجرد الخيبة والحرمان، كما هو الحـال من أَمَّ السراب فلم يجـده ماءً، بـل انضاف إلى ذلـك أنه وجـد عنده أحكم الحـاكمين أعـدل العـادلين سبحـانـه وتعـالىٰ، فحسب لـه ما عنـده من العلم والعمل فـوفاه إيـاه بمثاقيـل الذر، وقدم إلى ما عمل من عمل يرجو نفعه فجعله هباءً منثـوراً، إذ لم يكن خـالصاً لـوجهه، ولا على سنـة رسـولـه ﷺ، وصـارت تلك الشبهات الباطلة التي كان يظنها علوماً نافعة كـذلك هبـاءً منثوراً، فصارت أعماله وعلومه حسرات عليه.

والسـراب: ما يـرى في الفـلاة المنبسـطة من ضـوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجري، والقيعـة: القاع هو المنبسط من الأرض الذي لا جبل فيه ولا فيه واد، فشبه علُوم من لم يأخذ علومه وأعماله من الوحي بسرابٍ يراه المسـافر في شدة الحر، فيؤمه فيخيب ظنه ويجده ناراً تلظى، فهكذا علوم أهل الباطل وأعمالهم اذا حشر الناس، واشتد بهم العطش بـدت لهم كـالسـراب، فيحسبـونـه مـاءً، فـإذا أتـوه وجـدوا الله عنـده، فأخذتهم زبـانية العـذاب، فعتلوهم إلى نار الجحيم، فسقـوا ماءً حميماً، فقطع أمعاءهم، وذلك الماء الذي سقـوه هو تلك العلوم التي لا تنفـع، والأعمال التي كـانت لغير الله تعـالىٰ صيَّـرهـا الله

تعالىٰ حميماً سقاهم إياه، كما أن طعامهم من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع، وهو تلك العلوم والأعمال الباطلة التي كانت في الدنيا، كذلك لا يسمن ولا يغني من جوع، وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم: ﴿**قل هل ننبئكم بالآخرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً**﴾: [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٤].

وهم الذين عنى بقوله: ﴿**وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً**﴾: [الفرقان: ٢٣].

وهم الذين عنى بقوله تعالىٰ: ﴿**كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار**﴾: [البقرة: ١٦٧].

والقسم الثاني من هذا الصنف أصحاب الظلمات، وهم المنغمسون في الجهل بحيث قد أحاط بهم من كل وجه، فهم بمنزلة الأنعام بل هم أضل سبيلا، فهؤلاء أعمالهم التي عملوها على غير بصيرة، بل بمجرد التقليد واتباع الآباء من غير نور من الله تعالىٰ. كظلمات جمع ظلمة. وهي: ظلمة الجهل، وظلمة الكفر، وظلمة الظلم واتباع الهوى، وظلمة الشك والرِّيَب، وظلمة الإعراض عن الحق الذي بعث الله تعالىٰ به رسله صلوات الله وسلامه عليهم، والنور الذي أنزله معهم ليخرجوا به الناس من الظلمات إلى النور، فإن المعرض عما بعث الله تعالىٰ به محمداً ﷺ من الهدى ودين الحق يتقلب في خمس ظلمات: قوله ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره الى الظلمة، وقلبه مظلم، ووجهه مظلم، وكلامه مظلم، وحاله مظلم، وإذا قابلت بصيرته الخفاشية ما بعث الله به

محمداً ﷺ من النور جدّ في الهرب منه، وكاد نوره يخطف بصره، فهرب إلى ظلمات الآراء التي هي به انسب وأولى كما قيل:

خفافيش أعشاها النهار بضوئهِ ووافقها قِطع من الليل مظلمُ

فإذا جاء إلى زبالة الأفكار ونخالة الأذهان جال ومال، وأبدى وأعاد، وقعقع وفرقع، فإذا طلع نور الوحي، وشمس الرسالة الخجر في حجرة الحشرات.

وقوله ﴿**في بحر لجي**﴾ اللجي: العميق، منسوب إلى لجة البحر وهو معظمه، وقوله تعالىٰ: ﴿**يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب**﴾: [النور: ٤٠] تصوير لحال هذا المعرض عن وحيه، فشبّه تلاطم أمواج الشبه والباطل في صدره بتلاطم أمواج ذلك البحر، وأنها أمواج بعضها فوق بعض، والضمير الأول في قوله: ﴿**يغشاه**﴾ راجع إلى البحر، والضمير الثاني في قوله ﴿**من فوقه**﴾ عائد إلى الموج، ثم ان تلك الأمواج مغشاة بسحاب، فههنا ظلمات: ظلمة البحر اللجي، وظلمة الموج الذي فوقه، وظلمة السحاب الذي فوق ذلك كله، إذا أخرج من في هذا البحر يده لم يكد يراها.

واختلف في معنى ذلك، والصحيح: أنها فعل يقتضي المقاربة ولها حكم سائر الأفعال، ونفي الخبر لم يستفد من لفظها ووضعها فإنها لم توضع لنفيه، وإنما استفيد من لوازم معناها، فإنها إذا اقتضت مقاربة الفعل، لم يكن واقعاً، فيكون منفياً باللزوم، وأما إذا استعملت منفية، فإن كانت في كلام واحد فهي لنفي المقاربة كما إذا قلت: لا يكاد البَطّال يفلح، ولا يكاد

البخيل يسود، ولا يكاد الجبان يفرح، ونحو ذلك، وإن كانت في كلامين اقتضت وقوع الفعل بعد أن لم يكن مقارباً، كما قال ابن مالك فهذا التحقيق في أمرها، والمقصود أن قوله ﴿**لم يكد يراها**﴾ إما أن يدل على أنه لا يقارب رؤيتها لشدة الظلمة، وهو الأظهر. فإذا كان لا يقارب رؤيتها، فكيف يراها؟ قال ذو الرمة:

إذا غيّر النّائي المحبين لم يكد
رسيسُ الهوى من حبِّ ميّة يبرحُ

أي: لم يقارب البراح، وهو الزوال، فكيف يزول، فشبه سبحانه أعمالهم أولاً: في فوات نفعها وحصول ضررها عليهم بسراب خداع يخدع رائيه من بعيد، فإذا جاءَه وجد عنده عكس ما أمله ورجاه، وشبهها ثانياً: في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة خالية عن نور الايمان بظلمات متراكمة في لجج البحر المتلاطم الأمواج الذي قد غشيه السحاب من فوقه، فيا له تشبيهاً ما أبدعه وأشد مطابقته بحال أهل البدع والضلال، وحال من عبد الله سبحانه وتعالىٰ على خلاف ما بعث به رسوله ﷺ، وأنزل به كتابه.

وهذا التشبيه: هو تشبيه لأعمالهم الباطلة بالمطابقة والتصريح، ولعلومهم وعقائدهم الفاسدة باللزوم، وكل واحد من السراب والظلمات مثل لمجموع علومهم وأعمالهم، فهي سراب لا حاصل لها، وظلمات لا نور فيها، وهذا عكس مثل اعمال المؤمن وعلومه التي تلقاها من مشكاة النبوة، فإنها مثل الغيث الذي به حياة البلاد والعباد، ومثل النور الذي به انتفاع أهل الدنيا

والآخرة.

ولهذا يذكر سبحانه هذين المثلين في القرآن في غير موضع لأوليائه وأعدائه كما ذكرهما في سورة البقرة في قوله تعالىٰ: **﴿مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يرجعون﴾**: [البقرة: ١٧ - ١٨].

شبه سبحانه وتعالىٰ أعداءه المنافقين بقوم أوقدوا ناراً لتضيء لهم وينتفعوا بها، فلما أضاءت لهم النار فأبصروا في ضوئها ما ينفعهم ويضرهم، وأبصروا الطريق بعد أن كانوا حيارى تائهين، فهم كقوم سفر ضلوا عن الطريق، فأوقدوا النار التي تضيء لهم الطريق، فلما أضاءت لهم، فأبصَّروا وعرفوا طفئت تلك الأنوار وبقوا في الظلمات لا يبصرون، قد سدت عليهم أبواب الهدى الثلاث، فإن الهدى لا يدخل إلى العبد من ثلاثة أبواب: مما يسمعه بأذنه، ويراه بعينه، ويعقله بقلبه، وهؤلاء قد سدت عليهم أبواب الهدى، فلا تسمع قلوبهم شيئاً ولا تبصره ولا تعقل ما ينفعها.

وقيل: لما لم ينتفعوا بأسماعهم وأبصارهم وقلوبهم، نزلوا بمنزلة من لا سمع له ولا بصر ولا عقل. والقولان متلازمان.

وقال في صفتهم **﴿فهم لا يرجعون﴾** لأنهم قد رأوا في ضوء النار وأبصروا الهدى، فلما طفئت عنهم لا يرجعوا إلى ما رأوا وأبصروا.

وقال سبحانه وتعالىٰ: **﴿ذهب الله بنورهم﴾** ولم يقل ذهب

بنورهم، وفيه سر بديع، وهو انقطاع سر تلك المعية الخاصة التي هي للمؤمنين من الله تعالىٰ، فإن الله تعالى مع المؤمنين، وإن الله مع الصابرين، وان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، فذهاب الله بذلك النور انقطاع لمعيته التي خص بها أولياءه، فقطعها بينه وبين المنافقين، فلم يبق عندهم بعد ذهاب نورهم ولا معهم، فليس لهم نصيب من قوله: ﴿**لا تحزن إن الله معنا**﴾: [التوبة: ٤٠]. ولا من ﴿**كلا إن معي ربي سيهدين**﴾: [الشعراء :٦٢]. وتأمل قوله تعالى: ﴿**أضاءت ما حوله**﴾. كيف جعل ضوءها خارجاً عنه منفصلاً، ولو اتصل ضوؤها به ولابسه لم يذهب، ولكنه كان ضوء مجاورة لا ملابسة ومخالطة، وكان الضوء عارضاً والظلمة أصلية، فرجع الضوء إلى معدنه، وبقيت الظلمة في معدنها، فرجع كل منهما إلى أصله اللائق به حجة من الله قائمة، وحكمة بالغة تعرف بها إلى أولى الألباب من عباده.

وتأمل قوله تعالىٰ: ﴿**ذهب الله بنورهم**﴾ ولم يقل بنارهم ليطابق أول الآية، فإن النار فيها إشراق وإحراق، فذهب بما فيها من الإشراق وهو النور، وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق وهو النارية.

وتأمل كيف قال ﴿**بنورهم**﴾ ولم يقل: بضوئهم مع قوله: ﴿**فلما أضاءت ما حوله**﴾ لأن الضوء هو زيادة في النور، فلو قيل: ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة فقط دون الأصل، فلما كان النور أصل الضوء كان الذهاب به ذهاباً بالشيء وزيادته، وأيضاً فإنه أبلغ في النفي عنهم، وأنهم من أهل

الظلمات الذين لا نور لهم، وأيضاً فإن الله تعالى سمى كتابه نوراً، ورسوله ﷺ نوراً، ودينه نوراً، وهداه نوراً، ومن أسمائه النور، والصلاة نور، فذهابه سبحانه بنورهم ذهاب بهذا كله.

وتأمل مطابقة هذا المثل لما تقدمه من قوله: ﴿**أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين**﴾: [البقرة: ١٦] كيف طابق هذه التجارة الخاسرة التي تضمنت حصول الضلالة والرضى بها، وبذل الهدى في مقابلتها، وحصول الظلمات التي هي الضلالة والرضى بها بدلاً عن النور الذي هو الهدى والنور، فبدلوا الهدى والنور وتعوضوا عنه بالظلمة والضلالة، فيا لها من تجارة ما أخسرها وصفقة ما أشد غبنها.

وتأمل كيف قال الله تعالىٰ: ﴿**ذهب الله بنورهم**﴾ فوحّده، ثم قال: ﴿ **وتركهم في ظلمات** ﴾ فجمعها. فإن الحور واحد وهو صراط الله المستقيم الذي لا صراط يوصل اليه سواه، وهو عبادته وحده لا شريك له بما شرعه على لسان رسوله ﷺ لا بالأهواء والبدع وطرق الخارجين عما بعث الله به رسوله ﷺ من الهدى ودين الحق، بخلاف طرق الباطل، فإنها متعددة متشعبة، ولهذا يفرد سبحانه الحق، ويجمع الباطل كقوله تعالىٰ: ﴿**الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات**: [البقرة: ٢٥٧].

وقال تعالىٰ: ﴿ **وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**﴾: [الأنعام: ١٥٣]، فجمع سبل

الباطل ووحد سبيل الحق ولا يناقض هذا قوله تعالى: ﴿**يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام**﴾: [المائدة: ١٦]. فإن تلك هي طُرق مرضاته التي يجمعها سبيله الواحد، وصراطه المستقيم، فإن طرق مرضاته كلها ترجع إلى صراط واحد وسبيل، واحد، وهي سبيله التي لا سبيل إليه إلا منها.

وقد صح عن النبي ﷺ أنه خط خطاً مستقيماً وقال: «هذا سبيل الله»، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله وقال: «هذه سُبُل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه»، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السُبُل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون**﴾ وقد قيل: إن هذا مثل للمنافقين، وما يوقدونه من نار الفتنة التي يوقعونها بين أهل الاسلام ويكون بمنزلة قول الله تعالىٰ: ﴿**كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله**﴾: [المائدة: ٦٤]. ويكون قوله تعالىٰ: ﴿**ذهب الله بنورهم**﴾: [البقرة: ١٧] مطابقاً لقوله تعالىٰ: ﴿**أطفأها الله**﴾. ويكون تخييبهم وإبطال ما راموه هو تركهم في ظلمات الحيرة لا يهتدون إلى التخلص مما وقعوا فيه ولا يبصرون سبيلا، بل هم صمٌ بكمٌ عميٌ، وهذا التقدير وإن كان حقاً، ففي كونه مراداً بالآية نظر.

فإن السياق إنما قصد لغير ويأباه قوله تعالىٰ: ﴿**فلما أضاءت ما حوله**﴾ وموقد نار الحرب لا يضيء ما حوله أبداً.

ويأباه قوله تعالىٰ: ﴿**ذهب الله بنورهم**﴾ وموقد نار الحرب لا نور له.

ويأباه قوله تعالىٰ: ﴿**وتركهم في ظلمات لا يبصرون**﴾. وهذا

يقتضي أنهم انتقلوا من نـور المعرفـة والبصيرة إلى ظلمـة الشـك والكفر.

ولهذا قال: ﴿ **فهم لا يرجعون** ﴾. أي: لا يـرجعون إلى النـور الذي فارقوه. وقال تعـالىٰ في حق الكفار: ﴿**صمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يعقلون**﴾: [البقـرة: ١٧١]. فسلب العقل عن الكفـار اذ لـم يكونوا من أهل البصيرة والإيمـان، وسلب الرجـوع عن المنافقين لأنهم آمنوا ثم كفروا، فلم يرجعوا إلى الإيمان.

فصــل

ثم ضرب الله سبحانـه لهم مثلاً آخـر مائيـاً فقال تعـالىٰ: ﴿أو كصيّب من السماء فيه ظلماتٌ ورعدٌ وبرقٌ يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصـواعق حـذر المـوت والله محيطٌ بـالكـافـرين﴾: [البقرة: ١٩].

فشبـه نصيبهم مما بعث الله تعـالىٰ به رسـولـه ﷺ من النـور والحيـاة بنصيب المستوقـد النار التي طفئت عنـه أحـوج مـا كـان إليهـا، وذهب نوره وبقي في الـظلمات حـائـراً تـائهـاً لا يهتـدي سبيلاً، ولا يعرف طريقاً وبنصيب أصحـاب الصيب، وهو المـطر الـذي يصوب أي ينـزل من علو إلى أسفل، فشبـه الهدى الـذي هـدى بـه عبـاده بـالصيب، لأن القلوب تحيـا بـه حيـاة الأرض بالمطر، ونصيب المنافقين من هذا الهدى بنصيب من لم يحصل له نصيب من الصيب إلا ظلمات ورعـد وبرق ولا نصيب لـه فيما وراء ذلـك ممـا هـو المقصـود بـالصيب من حيـاة البـلاد والعبـاد والشجـر والدواب، وإن تلك الـظلمات التي فيـه، وذلك الـرعـد والبـرق مقصـود لغيـره، وهـو وسيلة إلى كمـال الانتفـاع بـذلـك الصيب.

فالجاهل لفرط جهله يقتصـر على الاحساس بمـا فيه الصيب من ظلمة ورعد وبرق ولوازم ذلك من برد شديد، وتعـطيل مسـافر عن سفره، وصانع عن صنعته، ولا بصيرة له تنفـذ، إلى ما يؤول

إليه أمر ذلك الصيب من الحياة والنفع العام.

وهكذا شأن كل قاصر النظر، ضعيف العقل لا يجاوز نظره الأمر المكروه الظاهر إلى ما وراءه من كل محبوب، وهذه حال أكثر الخلق إلا من صحت بصيرته، فإذا رأى ضعيف البصيرة ما في الجهاد من التعب والمشاق والتعرض لاتلاف المهجة والجراحات الشديدة، وملامة اللّوام، ومعاداة من يخاف معاداته، لم يقدم عليه لأنه لم يشهد ما يؤول إليه من العواقب الحميدة والغايات التي اليها تسابق المتسابقون، وفيها تنافس المتنافسون.

وكذلك من عزم على سفر الحج إلى البيت الحرام، فلم يعلم من سفره ذلك إلا مشقة السفر، ومفارقة الأهل والوطن ومقاساة الشدائد، وفراق المألوفات، ولا يجاوز نظره وبصيرته آخر ذلك السفر ومآله وعاقبته، فإنه لا يخرج إليه ولا يعزم عليه، وحال هؤلاء حال ضعيف البصيرة والإيمان الذي يرى ما في القرآن من الوعد والوعيد والزواجر والنواهي والأوامر الشاقة على النفوس التي تفطمها عن رضاعها من ثدي المألوفات والشهوات، والفطام على الصبي أصعب شيء وأشقه، والناس كلهم صبيان العقول، إلا من بلغ مبالغ الرجال العقلاء الألباء، وأدرك الحق علماً وعملاً ومعرفة، فهو الذي ينظر الى ما وراء الصيِّب وما فيه من الرعد والبرق والصواعق ويعلم أنه حياة الوجود. قلت: قال شيخنا[١٢]: الناس في الهدى الذي بعث الله تعالىٰ به رسوله ﷺ أربعة أقسام. قد اشتملت عليهم هذه الآيات من أول السورة إلى ههنا.

(١٢) أي شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني رحمه الله.

القسم الأول: قبلوه باطناً وظاهراً وهم نوعان:

أحدهما: أهل الفقه فيه والفهم والتعليم، وهم الأئمة الذين عقلوا عن الله تعالىٰ كتابه وفهموا مراده، وبلغوه إلى الأمة، واستنبطوا أسراره وكنوزه، فهؤلاء مثل الأرض الطيبة التي قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، فرعى الناس فيه ورعت أنعامهم، وأخذوا من ذلك الكلأ الغذاء والقوت والدواء وسائر ما يصلح لهم. النوع الثاني: حفظوه وضبطوه وبلغوا ألفاظه إلى الأمة، فحفظوا عليهم النصوص وليسوا من أهل الاستنباط والتفقه في مراد الشارع، فهم أهل حفظ وضبط وأداء لما سمعوه، والأولون أهل فهم وفقه واستنباط وإثارة لدفائنه وكنوزه، وهذا النوع الثاني بمنزلة الأرض التي أمسكت الماء للناس، فوردوه وشربوا منه وسقوا منه أنعامهم وزرعوا به.

القسم الثاني: من رده ظاهراً وباطناً وكفر به، ولم يرفع به رأساً، وهؤلاء أيضاً نوعان:

أحدهما عرفه وتيقن صحته وأنه حق، ولكن حمله الحسد والكبر وحب الرياسة والملك والتقدم بين قومه على جحده ودفعه بعد البصيرة واليقين. النوع الثاني: أتباع هؤلاء الذين يقولون هؤلاء ساداتنا وكبراؤنا وهم أعلم منا بما يقبلونه وما يردونه ولنا أسوة بهم، ولا نرغب بأنفسنا عن أنفسهم، ولو كان حقاً لكانوا هم أهله وأولى بقبوله، وهؤلاء بمنزلة الدواب والأنعام يساقون حيث يسوقهم راعيهم، وهم الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿**إذ تبرأ الذين اتُّبِعوا من الذين اتَّبَعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبَعوا لو أن لنا كرةً فَنَتبرّأَ منهم كما تبرءوا منا**

كذلك يُريهم الله أعمالهم حسراتٍ عليهم وما هم بخارجين من النار﴾: [البقرة: ١٦٦ ـ ١٦٧]. وقال تعالى فيهم: **﴿يوم تُقلبُ وجوهم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلّونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً﴾**: [الأحزاب: ٦٦ ـ ٦٨]. وقال تعالىٰ فيهم: **﴿وإذ يتحاجّون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار قال الذين استكبروا إنا كلٌ فيها إنّ الله قد حكم بين العباد﴾**: [غافر: ٤٧ ـ ٤٨]. وقال فيهم: **﴿ هذا فيلذوقوه حميمٌ وغسّاقٌ وآخرُ من شكله أزواجٌ هذا فوجٌ مقتحمٌ معكم لا مرحباً بهم إنهم صالوا النار قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدَّمتموه لنا فبئس القرار﴾**: [ص: ٥٧ ـ ٦٠]. أي سننتموه لنا وشرعتموه. **﴿قالوا ربنا من قدّم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار﴾**: [ص: ٦١]، فقولهم: **﴿لا مرحباً بهم إنهم صالوا النار﴾** أي داخلوها كما دخلناها، ومقاسون عذابها كما نقاسيه، فأجابهم الأتباع وقالوا: **﴿ بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا ﴾** .

وفي الضمير قولان:

أحدهما: أنه ضمير الكفر والتكذيب ورد قول الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، واستبدال غيره به، والمعنى أنتم زينتم لنا الكفر ودعوتمونا إليه، وحسنتموه لنا، وقيل: على هذا القول إنه قول الأمم المتأخرين للمتقدمين، والمعنى على هذا أنتم شرعتم لنا تكذيب الرسل، ورد ما جاءوا به، والشرك بالله

سبحانه وتعالىٰ. أي بدأتم به وتقدمتمونا اليه، فدخلتم النار قبلنا، فبئس القرار. أي بئس المستقر والمنزل.

والقول الثاني: أن الضمير في قوله: ﴿أنتم قدمتموه﴾ لنا ضمير العذاب وصلي النار، والقولان: متلازمان وهما حق.

وأما القائلون: ﴿ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار﴾: [ص: ٦١] فيجوز أن يكون الاتباع دعوا على سادتهم وكبرائهم وأئمتهم به، لأنهم الذين حملوهم عليه ودعوهم إليه، ويجوز أن يكون جميع أهل النار سألوا ربهم أن يزيد من سنّ لهم الشرك وتكذيب الرسل صلى الله عليهم وسلم ضعفاً وهم الشياطين.

القسم الثالث: الذين قبلوا ما جاء به الرسول ﷺ وآمنوا به ظاهراً وجحدوه وكفروا به باطناً، وهم المنافقون الذين ضرب لهم هذان المثلان بمستوقد النار وبالصيِّب، وهم أيضاً نوعان:

أحدهما: من أبصر ثم عمي، وعلم ثم جهل، وأقرّ ثم أنكر، وآمن ثم كفر، فهؤلاء رؤوس أهل النفاق وساداتهم وأئمتهم، ومثلهم مثل من استوقد ناراً ثم حصل بعدها على الظلمة.

والنوع الثاني: ضعفاء البصائر الذين أغشى بصائرهم ضوء البرق، فكاد أن يخطفها لضعفها وقوته، وأصم اذنهم صوت الرعد، فهم يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق ولا يقربون من سماع القرآن والإيمان، بل يهربون منه ويكون حالهم حال من يسمع الرعد الشديد. فمن شدة خوفه منه يجعل أصابعه في أذنه، وهذه حال كثير من خفافيش البصائر في كثير من

نصوص الوصي، وإذا وردت عليه مخالفة لما تلقاه عن أسلافه وذوي مذهبه، ومن يحسن به الظن ورآها مخالفة لما عنده عنهم هرب من النصوص، وكره مَن يسمعه إياها، ولو أمكنه لسد أذنيه عند سماعها، ويقول: دعنا من هذه، ولو قدر لعاقب من يتلوها ويحفظها وينشرها ويعلمها، فإذا ظهر له منها ما يوافق ما عنده مشى فيها وانطلق، فإذا جاءت بخلاف ما عنده أظلمت عليه فقام حائراً لا يدري أين يذهب، ثم يعزم له التقليد وحسن الظن برؤسائه وسادته على اتباع ما قالوه دونها، ويقول مسكين الحال: هم أخبر بها مني وأعرف.

فيا لله العجب، أوليس أهلها، والذابون عنها، والمنتصرون لها، والمعظمون لها، والمخالفون لأجلها آراء الرجال المقدمون لها على ما خالفها أعرف بها أيضاً منك وممن اتبعته، فلما كان من خالفها وعزلها عن اليقين، وزعم أن الهدى والعلم لا يستفاد منها وإنها أدلة لفظية لا تفيد شيئاً من اليقين، ولا يجوز أن يحتج بها على مسألة واحدة من مسائل التوحيد والصفات ويسميها الظواهر النقلية، ويسمى ما خالفها القواطع العقلية، فلما كان هؤلاء أحق بها وأهلها ، وكان أنصارها والذابون عنها والحافظون لها هم أعداؤها ومحاربوها، ولكن هذه سنّة الله في أهل الباطل إنهم يعادون الحق وأهله وينسبونهم إلى معاداته ومحاربته، كالرافضة الذين عادوا أصحاب النبي ﷺ، بل وأهل بيته ونسبوا أتباعه وأهل سنته إلى معاداته ومعاداة أهل بيته، وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون.

والمقصود أن هؤلاء المنافقين قسمان: أئمة وسادة يدعون إلى النار وقد مردوا على النفاق، وأتباع لهم بمنزلة الأنعام

والبهائم، فأولئك زنادقة مستبصرون، وهؤلاء زنادقة مقلدون، فهؤلاء أصناف بني آدم في العلم والإيمان، ولا يجاوز هذه السنة اللهمّ إلا من أظهر الكفر وأبطن الايمان، كحال المستضعف بين الكفار الذي تبين له الإسلام، ولم يمكنه المهاجرة بخلاف قومه، ولم يزل هذا الضرب في الناس على عهد رسول الله ﷺ وبعده، وهؤلاء عكس المنافقين من كل وجه.

وعلى هذا فالناس: إما مؤمن ظاهراً وباطناً، وإما كافر ظاهراً وباطناً، أو مؤمن ظاهراً كافر باطناً، أو كافر ظاهراً مؤمن باطناً، والأقسام الأربعة قد اشتمل عليها الوجود، وقد بيّن القرآن أحكامها. فالأقسام الثلاثة الأولى ظاهرة، وقد اشتمل عليها أول سورة البقرة.

وأما القسم الرابع ففي قوله تعالىٰ: **﴿فلولا رجالٌ مؤمنون ونساءٌ مؤمناتٌ لم تعلموهم أن تطؤوهم﴾**: [الفتح: ٢٥]. فهؤلاء كانوا يكتمون إيمانهم في قومهم ولا يتمكنون من إظهاره، ومن هؤلاء مؤمن آل فرعون كان يكتم إيمانه، ومن هؤلاء النجاشي الذي صلى عليه رسول الله ﷺ، فإنه كان ملك النصارى بالحبشة، وكان في الباطن مؤمناً، وقد قيل إنه وأمثاله الذين عناهم الله عز وجل بقوله: **﴿وإنّ من أهل الكتاب لمَن يؤمنُ بالله وما أُنزل إليكم وما أُنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً﴾**: [آل عمران: ١٩٩]. وقوله تعالىٰ: **﴿من أهل الكتاب أمةٌ قائمةٌ يتلون آياتِ الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليومِ الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون**

عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين﴾: [آل عمران: ١١٣ ـ ١١٤].

فإن هؤلاء ليس المراد بهم التمسك باليهودية والنصرانية بعد محمد ﷺ قطعاً، فإن هؤلاء قد شهد لهم بالكفر وأوجب لهم النار، فلا يثني عليهم بهذا الثناء، وليس المراد به من آمن به من أهل الكتاب ودخل في جملة المؤمنين وباين قومه، فإن هؤلاء لا يطلق عليهم إنهم من أهل الكتاب الا باعتبار ما كانوا عليه، وذلك الاعتبار قد زال بالإسلام، واستحدثوا اسم المسلمين والمؤمنين، وانما يطلق الله سبحانه هذا الاسم على من هو باق على دين أهل الكتاب. هذا هو المعروف في القرآن كقوله تعالىٰ: **﴿يا أهل الكتاب لمَ تكفرون بآيات الله﴾**: [آل عمران: ٧٠]. **﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم﴾**: [آل عمران: ٦٤]. **﴿يا أهل الكتاب لم تحاجّون في إبراهيم﴾**: [آل عمران: ٦٥]. **﴿وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم﴾**: [البقرة: ١٤٤] ونظائره.

ولهذا قال جابر بن عبدالله. وعبدالله بن عباس. وأنس بن مالك. والحسن. وقتادة إن قوله تعالىٰ: **﴿وإن من أهل الكتاب لمن يُؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم﴾**: [آل عمران: ١٩٩] إنها نزلت في النجاشي زاد الحسن وقتادة: وأصحابه.

عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اخرجوا فصلّوا على أخيكم». فصلى بنا فكبر أربع تكبيرات، فقال: «هذا النجاشي أصحمة». فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط، فأنزل الله تعالىٰ: **﴿وإن من أهل**

الكتاب لمَن يؤمن بالله﴾ : [آل عمران : ١٩٩] .

والمقصود أن الأقسام الأربعة قد ذكرها الله تعالى في كتابه وبين أحكامها في الدنيا وأحكامها في الآخرة، وقد تبين أن أحد الأقسام من آمن ظاهراً وكفر باطناً وأنهم نوعان رؤساؤهم وساداتهم وأتباعهم ومقلدوهم، وعلى هذا فأصحاب المثل الأول الناري شر من أصحاب المثل الثاني المائي، كما يدل السياق عليه .

وقد يقال وهو أولى أن المثلين لسائر النوع، وإنهم قد جمعوا بين مقتضى المثل الأول من الانكار بعد الاقرار والحصول في الظلمات بعد النور ومقتضى المثل الثاني من ضعف البصيرة في القرآن وسد الآذان عند سماعه والاعراض عنه، فإن المنافقين فيهم هذا وهذا، وقد يكون الغالب على فريق منهم المثل الأول، وعلى فريق منهم المثل الثاني .

وقد اشتمل هذان المثلان على حكم عظيمة :

منها أن المستضيء بالنار مستضيء بنور من جهة غيره لا من قبل نفسه، فإذا ذهبت تلك النار بقي في ظلمة، وهكذا المنافق لما أقرَّ بلسانه من غير اعتقاد ومحبة بقلبه وتصديق جازم كان ما معه من النور كالمستعار . ومنها : أن ضياء النار يحتاج في دوامه إلى مادة تحمله، وتلك المادة للضياء بمنزلة غذاء الحيوان، فكذلك نور الإيمان يحتاج إلى مادة من العلم النافع، والعمل الصالح يقوم بها، ويدوم بدوامها، فإذا ذهبت مادة الإيمان طفىء كما تطفأ النار بفراغ مادتها .

ومنها : أن الظلمة نوعان : ظلمة مستمرة لم يتقدمها نور

وظلمة حادثة بعد النور وهي أشد الظلمتين وأشقهما على ما كانت حظه، فظلمة المنافق ظلمة بعد إضاءة، فمثلت حاله بحال المستوقد للنار الذي حصل في الظلمة بعد الضوء، وأما الكافر فهو في الظلمات لم يخرج منها قط. ومنها: أن في هذا المثل إيذاناً وتنبيهاً على حالهم في الآخرة، وأنهم يعطون ناراً ظاهراً كما كان نورهم في الدنيا ظاهراً، ثم يطفأ ذلك النور أحوج ما يكونون إليه إذ لم تكن له مادة باقية تحمله، ويبقون في الظلمة على الجسر لا يستطيعون العبور، فإنه لا يمكن أحداً عبوره إلا بنور ثابت يصحبه حتى يقطع الجسر فإن لم يكن لذلك النور مادة من العلم النافع والعمل الصالح وإلا ذهب الله تعالى به أحوج ما كان اليه صاحبه، فطابق مثلهم في الدنيا بحالتهم التي هم عليها في هذه الدار وبحالتهم يوم القيامة عندما يقسم، ومن ههنا يعلم السر في قوله تعالىٰ: ﴿ذهب الله بنورهم﴾: [البقرة: ١٧] ولم يقل: أذهب الله نورهم، فإن أردت زيادة بيان وإيضاح، فتأمل ما رواه مسلم في صحيحه[١٣] من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، وقد سُئل عن الورود، فقال: نجيء نحن يوم القيامة على تل فوق الناس قال: فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا تبارك وتعالىٰ بعد ذلك فيقول: من تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا. فيقول: أنا ربكم. فيقولون حتى ننظر اليك، فيتجلى لهم يضحك. قال: فينطلق بهم فيتبعونه، ويعطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نوراً، ثم يتبعونه، وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله تعالىٰ، ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون، فينجو أول زمرة وجوههم

(١٣)نظر شرح مسلم للنووي (٣/٤٧ ـ ٤٨)، وأحمد (٣/٣٤٥ و٣٨٣).

كالقمر ليلة البدر سبعون ألفاً لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضوإِ نجم في السماء، ثم كذلك ثم تحل الشفاعة ويشفعون حتى يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، فيجعلون بفناء الجنة، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء وذكر باقي الحديث.

فتأمل قوله: فينطلق فيتبعونه ويعطى كل إنسان منهم نوراً المنافق والمؤمن، ثم تأمل قوله تعالىٰ: **﴿ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون﴾**: [البقرة: ١٧]. وتأمل حالهم إذا طفئت أنوارهم، فبقوا في الظلمة، وقد ذهب المؤمنون في نور إيمانهم يتبعون ربهم عز وجل.

وتأمل قوله ﷺ في حديث الشفاعة[١٤] : « لتتبع كل أمة ما كانت تعبدُ » ، فيتبع كل مشرك إلهه الذي كان يعبده، والموحد الحقيق بأن يتبع الاله الحق الذي كان كل معبود سواه باطل، وتأمل قوله تعالىٰ: **﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾**: [القلم: ٤٢]. وذكر هذه الآية في حديث الشفاعة[١٤] في هذا الموضع، وقوله في الحديث[١٤]: « فيكشف عن ساقه » وهذه الإضافة يتبين المراد بالساق المذكور في الآية، وتأمل ذكر الانطلاق واتباعه سبحانه بعد هذا، وذلك يفتح لك باباً من أسرار التوحيد وفهم القرآن، ومعاملة الله سبحانه وتعالىٰ لأهل توحيده الذين عبدوه وحده، ولم يشركوا به شيئاً، هذه المعاملة التي عامل بمقابلتها أهل الشرك حيث ذهبت كل أمة مع

(١٤) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٢٠ ـ الفتح)، ومسلم (٣/ ٢٦ ـ نووي) واللفظ له وأحمد (٣/ ١٦)، وأبو عوانه (١/ ١٦٦ و١٨٠ ـ ١٨١) وابن خزيمة في «التوحيد» (٣٠٧ ـ ٣٠٨) والطيالسي (٢/ ٢٢٢ ـ منحة المعبود) وغيرهم.

معبودها، فانطلق بها واتبعته إلى النار، وانطلق المعبود الحق واتبعه أولياؤه وعابدوه، فسبحان الله رب العالمين الذي قرت عيون أهل التوحيد به في الدنيا والآخرة، وفارقوا الناس فيه أحوج ما كانوا إليهم.

ومنها: أن المثل الأول متضمن لحصول الظلمة التي هي الضلال والحيرة التي ضدها الهدى، والمثل الثاني متضمن لحصول الخوف الذي ضده الأمن فلا هدى ولا أمن: **﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾**: [الأنعام: ٨٢].

قال ابن عباس وغيره من السلف: مثل هؤلاء في نفاقهم كمثل رجل أوقد ناراً في ليلة مظلمة في مغارة فاستضاء ورأى ما حوله فأنقى مما يخاف، فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره فبقي في ظلمة خائفاً متحيراً، كذلك المنافقون بإظهار كلمة الإيمان أمنوا على أموالهم وأولادهم وناكحوا المؤمنين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم فذلك نورهم، فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف.

قال مجاهد: إضاءة النار لهم إقبالهم إلى المسلمين والهدى، وذهاب نورهم إقبالهم إلى المشركين والضلالة. وقد فسرت تلك الاضاءة وذهاب النور بأنها في الدنيا، وفسرت بالبرزخ وفسرت بيوم القيامة، والصواب أن ذلك شأنهم في الدور الثلاثة، فإنهم لما كانوا كذلك في الدنيا جوزوا في البرزخ، وفي القيامة بمثل حالهم جزاء وفاقاً: **﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾**: [فصلت: ٤٦]، فإن المعاد يعود على العبد فيه ما كان حاصلاً له في الدنيا ولهذا يسمى يوم الجزاء **﴿ومن كان في هذه أعمى**

فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلا﴾: [الاسراء: ٧٢]. **﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾**: [مريم: ٧٦]. ومن كان مستوحشاً مع الله بمعصيته إياه في هذه الدار فوحشته معه في البرزخ يوم المعاد أعظم وأشد، ومن قرت عينه به في هذه الحياة الدنيا قرت عينه به يوم القيامة وعند الموت ويوم البعث، فيموت العبد على ما عاش عليه، ويبعث على ما مات عليه، ويعود عليه عمله بعينه، فينعم به ظاهراً وباطناً، فيورثه من الفرح والسرور واللذة والبهجة وقرة العين والنعيم وقوة القلب واستبشاره وحياته وانشراحه واغتباطه ما هو من أفضل النعيم وأجله وأطيبه وألذه. وهل النعيم إلا طيب النفس، وفرح القلب وسروره وانشراحه واستبشاره هذا، وينشأ له من أعماله ما تشتهيه نفسه، وتلذ عينه من سائر المشتهيات التي تشتهيها الأنفس وتلذها الأعين، ويكون تنوع تلك المشتهيات وكمالها وبلوغها مرتبة الحسن والموافقة بحسب كمال عمله ومتابعته فيه وإخلاصه وبلوغه مرتبة الإحسان فيه وبحسب تنوعه، فمن تنوعت أعماله المرضية المحبوبة له في هذه الدار تنوعت الأقسام التي يتلذذ بها في تلك الدار، وتكثرت له بحسب تكثر أعماله هنا، وكان مزيده بتنوعها والابتهاج بها والالتذاذ هناك على حسب مزيده من الأعمال وتنوعه فيها في هذه الدار.

وقد جعل الله سبحانه لكل عمل من الأعمال المحبوبة له والمسخوطة أثراً وجزاء ولذة وألماً يخصه لا يشبه أثر الآخر وجزاه، ولهذا تنوعت لذات أهل الجنة، وآلام أهل النار، وتنوع ما فيهما من الطيبات والعقوبات، فليست لذة من ضرب في كل مرضاة الله بسهم، وأخذ منها بنصيب كلذة من أنمى سهمه

ونصيبه في نوع واحد منها، ولا ألم من ضرب في كل مسخوط لله بنصيب وعقوبته كألم من ضرب بسهم واحد في مساخطه كشف من جنسها، وهذا الباب يفتح لك أبواباً عظيمة من فهم المعاد، وتفاوت الناس في أحواله، وما يجري فيه من الأمور.

فمنها خفة حمل العبد على ظهره وثقله إذا قام من قبره، فإنه بحسب خفة وزره وثقله. إن خَفّ خَفّ، وإن ثقل ثقل.

ومنها استظلاله بظل العرش أو صخاؤه للحر والشمس إن كان له من الأعمال الصالحة الخالصة والإيمان مما يظله في هذه الدار من حر الشرك، والمعاصي والظلم استظل هناك في ظل أعماله تحت عرش الرحمن، وإن كان ضاحياً هنا للمعاصي والمخالفات والبدع والفجور ضحى هناك للحر الشديد.

ومنها طول وقوفه في الموقف ومشقته عليه وتهوينه عليه إن طال وقوفه في الصلاة ليلاً ونهاراً لله، وتحمل لأجله المشاق في مرضاته وطاعته خف عليه الوقوف في ذلك اليوم، وسهل عليه، وإن آثر الراحة هنا والدعة والبطالة والنعمة طال عليه الوقوف هناك واشتدت مشقته عليه، وقد أشار الله تعالى: إلى ذلك في قوله: ﴿**إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً إن هؤلاء يحبّون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً**﴾: [الانسان: ٢٣ ـ ٢٧]. فمن سبح الله ليلاً طويلاً لم يكن ذلك اليوم ثقيلاً عليه، بل كان أخف شيء عليه.

ومنها أن ثقل ميزانه هناك بحسب تحمل ثقل عمل الحق في هـذه الدار لا بحسب مجـرد كثرة الأعمـال، وإنما يثقـل الميـزان باتباع الحق والصبر عليه وبذله إذا سئل، وأخذه إذا بذل، كما قال الصـديق في وصيتـه لعمـر رضي الله عنهمـا: واعلم ان لله حقـاً بالليل لا يقبله بالنهار، وله حق بالنهار لا يقبله بالليـل. واعلم انه إنما ثقلت موازين من ثقلت مـوازينه بـاتباعهم الحق، وثقـل ذلك عليهم، ولا يستضيء به غيره، ولا يمشي أحـد إلا في نور نفسـه إن كان له نور مشى في نوره، وإن لم يكن له نور أصـلاً لم ينفعه نور غيره، ولما كان المنافق في الدنيا قد حصل له نور ظاهـر غير مستمر ولا متصل بباطنه ولا له مادة من الإيمان أعطي في الآخـرة نوراً ظاهراً لا مادة له، ثم يطفأ عنه أحوج ما كان إليه.

ومنهـا: أن مشيهم على الصراط في السـرعة والبطء بحسب سـرعـة سيـرهم وبـطئـه على صـراط الله المستقيم في الـدنيـا، فأسرعهم سيراً هنا أسـرعهم هناك، وأبـطأهم هنا أبـطأهم هناك، وأشـدهم ثبـاتـاً على الصـراط المستقيم هنـا أثبتهم هنـاك، ومن خطفته كـلاليب الشهوات والشبهـات والبدع المضلة هنـا خطفته الكـلاليب التي كأنهـا شوك السعـدان هناك ويكـون تأثيـر كلاليب الشهـوات والشبهات والبـدع فيه هـا هنا، فنـاج مسلم ومخـدوش مسلم ومخردل (أي مقطع بالكلاليب مكردس في النار) كمـا أثر فيهم تلك الكـلاليب في الدنيـا جـزاء وفـاقـاً، ومـا ربـك بـظلام للعبيـد. والمقصـود أن الله تبـارك وتعـالىٰ ضـرب لعبـاده المثلين المـائي والناري في سـورة البقرة ، وفي سـورة الرعـد وفي سورة النـور لمـا تضمن المثـلان من الحيـاة والاضـاءة، فـالمؤمن حي القلب مستنيره، والكافـر والمنافق ميت القلب مـظلمه، وقـال الله

تعـالىٰ: ﴿**أومن كان ميتـاً فأحيينـاه وجعلنا لـه نوراً يمشي بـه في الناس**﴾: [الأنعام: ١٢٢]. وقال تعالىٰ: ﴿**ومـا يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات**﴾: [فـاطر: ١٩ ـ ٢٣]، فجعـل من اهتدى بهـداه واستنار بنـوره بصيراً حيـاً في ظـل يقيـه من حـر الشبهـات والضلال والبدع والشرك مستنيراً بنوره، والآخر أعمى ميتاً في حر الكفـر والشرك والضـلال منغمساً في الـظلمـات، وقـال تعـالىٰ: ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنـا ما كنت تـدري ما الكتـاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنـك لتهدي إلى صراط مستقيم**﴾: [الشورى: ٥٢].

فسمى وحيه روحاً لمـا يحصل بـه من حياة القلوب والأرواح التي هي الحيـاة في الحقيقـة، ومن عـدمهـا فهـو ميت لا حي، والحياة الأبدية السرمدية في دار النعيم هي ثمرة حياة القلب بهذا الروح الذي أوحى إلى رسـوله ﷺ، فمن لمن يحيـا به في الـدنيا فهو ممن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا، وأعظم الناس حياة في الـدور الثلاث دار الـدنيـا، ودار البـرزخ، ودار الجـزاء أعـظمهم نصيباً من الحياة بهـذه الروح، وسمـاه روحاً في غيـر موضـع من القرآن كقوله تعالىٰ: ﴿**رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق**﴾: [غـافر: ١٥]. وقال تعالىٰ: ﴿**ينزل الملائكة بالـروح من أمره على من يشـاء من عباده ان انذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون**﴾: [النحل: ٢].

وسمـاه نوراً لمـا يحصل بـه من استنارة القلوب وإضـاءتهـا، وكمال الروح بهـاتين الصفتين بالحيـاة والنور ولا سبيـل إليهما إلا

على أيـدي الرسـل صلوات الله وسلامـه عليهم، والاهتـداء بمـا بعثوا به، وتلقي العلم النافع والعمل الصالـح من مشكاتهم، وإلا فالروح ميتـة مظلمـة، وإن كان العبـد مشاراً إليـه بالـزهد والفقـه والفضيلة والكـلام في البحوث، فـإن الحياة والاستنـارة بـالـروح الذي أوحاه الله تعالىٰ إلى رسولـه ﷺ، وجعله نوراً يهـدي به من يشـاء من عباده وراء ذلـك كله، فليس العلم كثرة النقـل والبحث والكـلام، ولكن نور يميـز به صحيـح الأقوال من سقيمهـا وحقهـا من باطلها، وما هو من مشكاة البنوة مما هو من آراء الـرجال، ويميـز النقد الذي عليه سكة أهل المدينـة النبويـة الذي لا يقبـل الله عز وجل ثمناً لجنته سواه من النقد الذي عليه سكة جنكسخان ونوابـه من الفـلاسفة والجهميـة والمعتزلـة وكـل من اتخـذ لنفسـه سكـة وضرباً ونقداً يروجه بين العالم، فهذه الأَثمان كلها زيوف لا يقبـل الله سبحانه وتعالىٰ في ثمن جنته شيئاً منها، بـل ترد على عـاملها أحـوج ما يكـون إليها، وتكـون من الأعمال التي قَـدِمَ الله تعـالى عليها: فجعلها هباءً منثوراً ولصاحبها نصيب وافر من قوله تعالىٰ: **﴿قل هل ننبئكم بـالأخسرين أعمـالاً الذين ضـل سعيهم في الحياة الـدنيـا وهم يحسبـون أنهم يحسنـون صنعـاً﴾** : [الكهـف: ١٠٣ - ١٠٤].

وهذا حال أرباب الأعمال التي كـانت لغير الله عـز وجل، أو على غير سنة رسـول الله ﷺ، وحال أربـاب العلوم والأنظار التي لم يتلقـوها عن مشكـاة النبوة، ولكن تلقـوهـا عن زبـالـة أذهـان الرجال وكناسة أفكـارهم، فاتعبـوا قواهم وأفكـارهم وأذهانهم في تقرير آراء الرجال والانتصار لهم وفهم ما قالوه وبثـه في المجالس والمحاضر وأعرضوا عمـا جاء الـرسول ﷺ صفحـاً، ومن به رمق

منهم يعيره أدنى التفات طلباً للفضيلة، وإما تجريد اتباعه وتحكيمه وتفريغ قوى النفس في طلبه وفهمه وعرض آراء الرجال عليه، ورد ما يخالفه منها، وقبول ما وافقه، ولا يلتفت إلى شيء من آرائهم وأقوالهم إلا إذا أشرقت عليها شمس الوحي، وشهد لها بالصحة، فهذا أمر لا تكاد ترى أحداً منهم يحدث به نفسه فضلاً عن أن يكون أخيته ومطلوبه، وهذا الذي لا ينجي سواه، فوارحمتا لعبد شقي في طلب العلم، واستفرغ فيه قواه، واستعد فيه أوقاته، وآثره على ما الناس فيه، والطريق بينه وبين رسول الله ﷺ مسدود، وقلبه عن المرسل سبحانه وتعالىٰ وتوحيده والإنابة إليه والتوكل عليه والتنعم بحبه والسرور بقربه مطرود ومصدود، وقد طاف عمره كله على أبواب المذاهب فلم يفز إلا بأخس المطالب ، سبحان الله إن هي والله إلا فتنة أعمت القلوب عن واقع رشدها، وحيرت العقول عن طرق قصدها، تَرَبّى فيه الصغير وهرم عليه الكبير، فظنت خفافيش الأبصار انها الغاية التي تسابق إليها المتسابقون، والنهاية التي تتنافس فيها المتنافسون وهيهات أين الظلام من الضياء؟! وأين الثرى من كوب الجوزاء؟؟ وأين الحرور من الظلال؟! وأين طريقة أصحاب اليمين من طريقة اصحاب الشمال؟! وأين القول الذي لم تضمن لنا عصمة قائله بدليل معلوم من النقل المصدق عن القائل المعصوم؟! وأين العلم الذي سنده محمد بن عبدالله ﷺ، عن جبرائيل ﷺ، عن رب العالمين سبحانه وتعالىٰ من الخوض الخرص الذي سنده شيوخ الضلال من الجهمية والمعتزلة وفلافسة المشائين؟! بل أين الآراء التي أعلى درجاتها أن تكون عند الضرورة سائغة الاتباع إلى النصوص النبوية الواجب على

كل مسلم تحكيها والتحاكم اليها في موارد النزاع؟! وأين الآراء التي نهى قائلها عن تقليده فيها وحض على النصوص التي فُرِضَ على كل عبد أن يهتدي بها ويتبصر؟! وأين الأقوال والآراء التي اذا مات أنصارها والقائمون بها فهي من جملة الأموات إلى النصوص التي لا تزول إلا إذا زالت الأرض والسماوات؟!

لقد استبان والله الصبح لمن له عينان ناظرتان، وتبين الرشد من الغي لمن له أذنان واعيتان، لكن عصفت على القلوب أهوية البدع والشبهات والآراء المختلفات فأطفأت مصابيحها، وتحكمت فيها أيدي الشهوات فأغلقت أبواب رشدها وأضاعت مفاتيحها، وران عليها كسبها وتقليدها لآراء الرجال. فلم تجد حقائق القرآن والسنّة فيها منفذاً، وتمكنت فيها اسقام الجهل والتخليط، فلم تنتفع معها بصالح الغذاء.

واعجباً جعلت غذاءها من هذه الآراء التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ولم تقبل الاغتذاء بكلام الله تعالى ونص نبيه المرفوع.

واعجباً كيف اهتدت في ظلم الآراء إلى التمييز بين الخطأ فيها والصواب، وعجزت عن الاهتداء بمطالع الأنوار ومشارقها من السنّة والكتاب، فأقرت بالعجز عن تلقي الهدى والعلم من مشكاة السنّة والقرآن، ثم تلقته من رأي فلان ورأي فلان.

سبحان الله! ماذا حَرَم المعرضون عن نصوص الوحي واقتباس الهدى من مشكاتها من الكنوز والذخائر؟! وماذا فاتهم من حياة القلوب واستنارة البصائر؟! قنعوا بأقوال استنبطوها بمعاول الآراء فكراً، وتقطعوا أمرهم بينهم لأجلها زبراً، وأوحى

بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً، فاتخذوا لأجل ذلك القرآن مهجوراً، درست معالم القرآن في قلوبهم فليسوا يعرفونها، ودثرت معاهده عندهم فليسوا يعمرونها، ووقعت أعلامه من أيديهم فليسوا يرفعونها، وأَفَلَت كواكبه من آفاقهم فليسوا يبصرونها، وكسفت شمسه عند اجتماع ظلم آرائهم وعقدها: فليسوا يثبتونها، خلعوا نصوص الوحي من سلطان الحقيقة، وعزلوها عن ولاية اليقين، وشنوا عليها غارات التحريف بالتأويلات الباطلة، فلا يزال يخرج عليها من جيوشهم المخذولة كمين بعد كمين، نزلت عليهم نزول الضيف على أقوام لئام، فعاملوها بغير ما يليق بها من الاجلال والاكرام، وتلقوها من بعيد ولكن بالدفع في صدورها والاعجاز، وقالوا ما لَكِ عندنا من عبور، وإن كان لا بد فعلى سبيل المجاز، أنزلوا النصوص منزلة الخليفة العاجز في هذه الأزمان له السكة والخطبة وما له حكم نافذ ولا سلطان، حرموا والله الوصول بخروجهم عن منهج الوحي وتضييع الأصول، وتمسكوا بأعجاز لا صدور لها، فخانتهم أحرص ما كانوا عليها، وتقطعت بهم أسبابهم أحوج ما كانوا إليها، حتى إذا بُعْثِر ما في القبور، وحُصِّلَ ما في الصدور، وتَمَيَّزَ لكل قوم حاصلهم الذي حصلوه، وانشكفت لهم حقيقة ما اعتقدوه، وقَدِموا على ما قَدَّمُوه، وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون، وسقط في أيديهم عند الحصاد لما عاينوا غلة ما بذروه. فيا شدة الحسرة عندما يعاين المبطل سعيه وكده هباء منثوراً، ويا عظم المصيبة عندما تبين بوارق آماله وأمانيه خلباً وغروراً، فما ظن من الظوت سريرته على البدعة والهوى والتعصب للآراء بربه سبحانه وتعالىٰ يوم تبلى السرائر، وما عُذْرُ

من نبذ كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ وراء ظهره في يوم لا ينفع فيه الظالمين المعاذر؟! أفيظن المعرض عن كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ أن ينجو غداً بآراء الرجال، ويخلص من مطالبة الله تعالى له بكثرة البحوث والجدال، أو ضروب الأقيسة وتنوع الأَشكال، أو بالشطحات والمشارات وأنواع الخيال، هيهات! والله لقد ظن أكذب الظن ومَنَّى نفسه أَبين المحال، وإنما ضمنت النجاة لمن حَكّم هدي الله تعالى على غيره، وتزود التقوى، وأتم بالدليل، وسلك الصراط المستقيم، واستمسك من التوحيد واتباع الرسول ﷺ، بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والله سميع عليم.

فصـل

ومـلاك السعـادة والنجـاة والفـوز بتحقيق التـوحيـدين اللذين عليهمـا مـدار كتـاب الله تعـالى، وبتحقيقهمـا بعث الله سبحـانـه وتعـالىٰ رسولـه ﷺ، وإليهما دعت الـرسل صلوات الله وسـلامـه عليهم من أولهم إلى آخرهم.

أحـدهما: التـوحيد العلمي الخبـري الاعتقـادي، المتضمن إثبـات صفـات الكمـال لله تعـالى، وتنـزيهـه فيهـا عن التشبيـه والتمثيل، وتنزيهه عن صفات النقص.

والتوحيد الثاني: عبادته وحده لا شريك لـه، وتجريـد محبته والاخلاص له، وخـوفه ورجـاؤه والتوكـل عليه، والـرضى به ربـاً وإلهاً ووليـاً، وأن لا يجعل له عدلاً في شيء من الأشياء.

وقـد جمع سبحـانه وتعـالىٰ هذين النـوعين من التـوحيـد في سـورتي الإخـلاص وهمـا سـورة: ﴿**قـل يـا أيهـا الكـافـرون**﴾: [الكافرون: ١] المتضمنة للتوحيد العملي الإرادي.

وسـورة ﴿**قل هـو الله أحد**﴾: [الإخـلاص: ١] المتضمنـة للتوحيد العلمي الخبري.

فسورة: ﴿**قُل هو الله أحد**﴾: [فيهـا بيان مـا يجب لله تعالى من صفات الكمال، وبيان ما يجب تنزيهه من النقائص والأمثال.

وسورة ﴿**قل يا أيها الكافرون**﴾، فيها إيجاب عبادته وحده لا

شريك له، والتبري من عبادة كل ما سواه، ولا يتم أحد التوحيدين إلا بالآخرة، ولهذا كان النبي ﷺ يقرأ بهاتين السورتين في سنة الفجر(١٥) والمغرب(١٦) والوتر(١٧). اللتين هما فاتحة العمل وخاتمته ليكون مبدأ النهار توحيداً وخاتمته توحيداً.

فالتوحيد العلمي الخبري له ضدان: التعطيل والتشبيه والتمثيل، فمن نفى صفات الرب عز وجل وعطلها كَذَّبَ تعطيله توحيده، ومن شبهه بخلقه ومثله بهم كَذَّب تشبيهه وتمثيله توحيده.

والتوحيد الإرادي العملي له ضدان: الإعراض عن محبته والإنابة إليه والتوكل عليه والإشراك به في ذلك، واتخاذ أوليائه شفعاء من دونه.

وقد جمع سبحانه وتعالى بين التوحيدين في غير موضع من القرآن. فمنها قوله تعالى: **﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله انداداً وانتم تعلمون﴾**: [البقرة: ٢١ - ٢٢]. ومنها قوله تعالىٰ: **﴿الله الذي جعل لكم الليل تسكنوا فيه والنهار مبصراً إن الله لذو فضلٍ على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فأنى تؤفكون كذلك يُؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله**

(١٥) كما في الصحيحين.

(١٦) كما في مسند أحمد بسند صحيح.

(١٧) كما في سنن النسائي ومستدرك الحاكم وصححه وهو كما قال.

الـذي جعل لكم الأرض قـراراً والسماء بنـاء وصـوركم فـأحسن صـوركم ورزقكم من الـطيبــات ذلكم الله ربكم فتبـارك الله رب العالمين هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين﴾: [غافـر: ٦١ ـ ٦٥]. ومنها قـوله تعـالى :**﴿الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستـة أيام ثم استـوى على العـرش ما لكم من دونـه من ولي ولا شفيع أفـلا تتذكـرون يـدبر الأمـرَ من السمـاء إلى الأرض ثم يعـرجُ اليـه في يـوم كـان مقداره ألف سنة مما تعدون ذلـكَ عالم الغيب والشهـادة العزيـزُ الرحيم﴾**: [السجدة: ٤ ـ ٦].

اثبات استواء الرب على العرش بـالآيات القـرآنية وتـأمل مـا هذه الآيات من الـرد على طوائف المعـطلين والمشركين فقـوله: **﴿خلق السمـاوات والأرض وما بينهمـا في ستـة أيـام﴾**، يتضمن ابطال قول الملاحدة القـائلين بقـدم العـالم، وإنه لم يـذل، وإن الله سبحـانه لم يخلقـه بقـدرتـه ومشيئتـه، ومن اثبت منهم وجـود الرب جعله لازماً لذاته أزلاً وأبداً غير مخلوق، كمـا هو قـول ابن سينـا والنصير الـطوسي وأتباعهمـا من الملاحـدة الجاحـدين لمـا اتفقت عليه الرسل عليهم الصلاة والسـلام، والكتب وشهدت بـه العقول والفطر.

وقـوله تعـالىٰ: **﴿ثم استوى على العـرش﴾**، يتضمن إبـطال قـول المعطلة والجمعـة الذين يقـولون: ليس على العـرش شيء سـوى العدم، وإن الله ليس مستـوياً على عـرشه، ولا تـرفع إليـه الأيـدي، ولا يصعد إليـه الكلم الطيب، ولا رفـع المسيـح عليـه الصلاة والسلام، ولا عرج برسوله محمد ﷺ، ولا تعرج الملائكة

والروح إليه، ولا ينزل من عنده جبريل عليه الصلاة والسلام ولا غيره، ولا ينزل هو كل ليله إلى السماء الدنيا، ولا يخافه عبادة من الملائكة وغيرهم من فوقهم، ولا يراه المؤمنون في الدار الآخرة عياناً بأبصارهم من فوقهم، ولا تجوز الإشارة إليه بالأصابع إلى فوق كما أشار اليه النبي ﷺ في أعظم مجامعه في حجة الوداع وجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكتها إلى الناس ويقول: «اللهم اشهد».

هذا كتاب الله من أوله الى آخره وسنّة رسوله ﷺ وكلام الصحابة والتابعين وكلام سائر الأئمة مملوء مما هو نص في أن الله سبحانه وتعالىٰ فوق كل شيء وإنه فوق العرش فوق السماوات مستو على عرشه مثل قوله تعالىٰ: **﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ادعو ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين﴾** : [الأعراف : ٥٤ ـ ٥٥].

وقوله تعالىٰ: **﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات﴾**: [البقرة: ٢٩].

وقوله تعالى: **﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون﴾** : [يونس : ٣] . فذكر التوحيدين في هذه الآية .

وقوله تعالى: ﴿تنزيلاً ممن خلق الأرض والسماوات العلى الرحمن على العرش استوى﴾: [طه ٤ ـ ٥]. وقوله تعالى: ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيرا﴾: [الفرقان: ٥٨ ـ ٥٩].

وقوله تعالى: ﴿هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾: [الحديد: ٤].

وقوله تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور، أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعملون كيف نذير﴾: [الملك: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب، أسباب السماوات فاطلع إلىٰ إلٰه موسىٰ وإني لأظنه كاذباً﴾: [غافر: ٣٦ ـ ٣٧].

قال: أبو الحسن الأشعري[١٨]: «فقد احتج بهذه الآية على الجهمية فكذب فرعون موسَى عليه السلام في قوله: «إن الله فوق السماوات».

---

(١٨) راجع «الإبانة عن أصول الديانة» (ص ١٠٦) وقد ذكرت أقوال أهل العلم في هذه الآية في كتابي: «أين الله: دفاع عن حديث الجارية رواية ودراية» (ورقة ٦٧ ـ ٧٣).

وأمـا الأحاديث فمنهـا قصة المعـراج وهي متواتـرة،[19] وتجـاوز النبي صلى الله عليه وسلم السماوات سماء سماء حتى انتهى إلى ربه تعالىٰ فقربه وأدنـاه وفرض عليـه الصلوات خمسين صلاة فلم يزل بين موسى عليه السلام وربه تبارك وتعالىٰ، وينزل من عند ربه تعـالىٰ إلى عند مـوسى فيسألـه كم فرض عليـك فيخبره فيقـول: ارجـع إلى ربـك فـاسـألـه التخفيف فيصعـد إلى ربـه فيسـألـه التخفيف.

ولما حكم سعد بن معـاذ رضي الله عنه في بني قـريظة بـأن تقتـل مقـاتلتهم وتسبى ذريتهم وتغنم أمـوالهم، قـال ﷺ: «لقـد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع أرقعـة» وفي لفظ: «من فوق سبع سماوات»[20].

---

(١٩) لاشك في تواتر أصل القصة، وأما تفاصيلها ففيها الصحيح الـطيب الكثير، وفيهـا ما هو دون ذلك، وقد استقصى الحافظ ابن كثير رحمه الله كثيراً من طرقها فجمع فأوعى وصرح بتواتر الروايات في حديث الاسراء والمعراج.

وممن جرح بتواترها:

١ ـ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١٣/ ١٧٤).

٢ ـ السيوطي في كتابيه «الآية الكبرى في المعراج والاسراء» و«الأزهار المتناثرة».

٣ ـ الـزّبيدي في كتـابه «لقط الـلآلىء المتنـاثـرة في الأحـاديث المتـواتـرة» (ص ٢٢٤).

٤ ـ والكتاني في «نظم المتناثر من الحديث المتواتر (ص ١٣٢ ـ ١٣٣).

٥ ـ شيخنا محمد ناصر الدين الالباني في «مختصر العلو» للذهبي (ص ٩٠).

(٢٠) أصل الحديث في الصحيحين من حـديث أبي سعيد الخـدري رضي الله عنه دون قوله «من فوق سبع سماوات».

وهذه الزيادة أخرجهـا البيهقي في «الأسماء والصفـات» (ص ٥٢٩) والنسائي في =

وقال ﷺ: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء مساء وصباحاً»(٢١).

عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: لطمت جارية لي فأخبرت رسول الله ﷺ فعظَّم ذلك عليَّ فقلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: «بل ائتني بها» قال: فجئت بها رسول الله ﷺ فقال لها: «أين الله؟» قالت: في السماء. قال: «فمن أنا؟» قالت: أنت رسول الله. قال: «اعتقها فإنها مؤمنة»(٢٢).

وعن عبدالله عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض

= «الكبرى» (٢٩٣/٣ ـ تحفة الأشراف) من طريق محمد بن صالح التمار عن سعد بن ابراهيم عن عامر بن سعد عن أبيه وذكره قلت: وهذا إسناد حسن إن شاء الله لأن فيه محمد بن صالح التمار قال الحافظ في التقريب: «صدوق يخطىء» وقال الذهبي في «العلو» (ص ٣٢): «صدوق» وله شاهد من مرسل علقمه بن وقاص رواه ابن اسحاق كما في «فتح الباري» للحافظ ابن حجر (٤١٢/٧).
والحديث صححه الحافظ الذهبي في «العلو» (ص ٣٢) وابن أبي العز الحنفي في «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٢٨٣).
لذلك يطئمنْ القلب إلى ثبوته والاحتجاج به في إثبات الفوقيه خلافاً لمن أبى.

(٢١) متفق عليه.

(٢٢) هذا الحديث معروف عند العلماء بحديث «الجارية» وهو حديث صحيح ـ أخرجه مسلم (٢٠/٥ ـ ٢٤ ـ نووي)، والبخاري في «جزء القراءة» (٣٨)، وأبو داود (٩٣٠)، والنسائي (١٤/٣ ـ ١٨ ـ شرح السيوطي)، وأحمد (٤٤٧/٥ و٤٤٨ و٤٤٨ ـ ٤٤٩)، وابن الجارود في «المنتقى» (٢١٢)، وأبو عوانة (١٤١/٢)، والبغوي في «شرح السنة» (٢٣٧/٣ ـ ٢٣٩ و٢٤٦/٩ ـ ٢٤٧) وغيرهم كثير وقد جمعت طرقه وألفاظه من عشرات المصادر المخطوطة والمطبوعة وسميته: «أين الله: دفاع عن حديث الجارية رواية ودراية».

يرحمكم من في السماء[٢٣].

(٢٣) هذا الحديث المشهور بين العلماء بالمسلسل بالأولية، قال شيخنا ناصر الدين الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٩٢٥): وروى العراقي في «العشاريات» (١/٥٩) من هذا الوجه مسلسلاً بقول الراوي: «وهو أول حديث سمعته منه» ثم قال: «هذا حديث صحيح».
وقال العطار في «منتخب العوالي» (ص ٩)، «هذا حديث عظيم حسن الإسناد والمتن».
قلت: بل هو صحيح لغيره.
أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٦٤/٩)، وأبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤) وصححه، وأحمد (١٦٠/٢) والحاكم (١٥٩/٤) وصححه ووافقه الذهبي، والحميدي (٥٩١)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٢٦٠/٣) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٢٣٤)، والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (٧٧٥) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٢٣) وابن قدامة في «صفة العلو» (١٥).
كلهم من طريق سفيان بن عيينه عن عمرو بن دينار عن أبي قابوس موسى عبدالله ابن عمرو عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعاً. وهذا إسناد رجاله رجال الشيخين غير أبي قابوس قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: «مقبول» أي عند المتابعة وقد توبع كما نقل شيخنا حفظه الله عنه في «سلسلته الصحيحة» (٦٣١/٢) عن ابن ناصر الدين الدمشقي: «ولأبي قابوس متابع، رويناه في مسندي أحمد بن حنبل وعبد بن حميد من حديث أبي خداش حبان بن زيد الشرعبي الحمصي أحد الثقات عن عبدالله بن عمرو بمعناه...»
وللحديث شاهد من حديث جرير عن عبدالله رضي الله عنه أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣٥٥/٢) و «مكارم الأخلاق» (٤٥) وفيه أبو إسحاق السبيعي وقد عنعنه.
وله شاهد آخر من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أخرجه أبو نعيم في « الحلية »(٢١٠/٤، ٢١١) و «أخبار أصبهان» (٢١٩/١) ، والطبراني في «الكبير» (١٠٢٧٧) و «الصغير» (١٠١/١)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٣٧٥/١)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٨/٣ ـ ٣٩)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٢٥) من طريق أبي عبيدة عن أبيه.
وهذا إسناد منقطع لأنّ أبا عبيده لم يسمع من أبيه.
والحديث صححه جماعة من أهل العلم كالترمذي والحاكم والذهبي والعراقي وابن ناصر الدين الدمشقي وشيخنا الألباني وغيرهم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعوا امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها»(٢٤).

أقوال الصحابة رضي الله عنهم ورضوا عنه.

١ ـ أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

لما قبض رسول الله ﷺ قال أبو بكر: أيها الناس إن كان محمد إلهكم الذي تعبدونه فإن إلهكم قد مات، وإن كان إلهكم الله الذي في السماء فإن إلهكم لم يمت ثم تلا: ﴿**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل**﴾ حتى ختم الآية [آل عمران: ١٤٤](٢٥).

٢ ـ الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أ ـ لما قدم عمر رضي الله عنه الشام استقبله الناس وهو على بعيره فقالوا: يا أمير المؤمنين لو ركبت برذوناً ليلقاك عظماء الناس ووجوههم، فقال عمر رضي الله عنه: ألا أراكم من هاهنا إن الأمر من هاهنا، وأشار بيده إلى السماء(٢٦).

ب ـ لقيت امرأة عمَر بن الخطاب رضي الله عنه يقال لها

---

(٢٤) أخرجه مسلم.

(٢٥) أخرجه الدارمي في «الرد على بشر المريسي العنيد» (ص ١٠٥) و «الرد على الجهمية» (ص ٢٦). ومن طريقه الحافظ الذهبي في «العلو» (ص ٦٢) وصححه. وأخرجه البخاري تعليقاً في «تاريخه» عن محمد بن الفضل عن أبيه عن نافع عن ابن عمر وذكره.

قلت: وهذا إسناد حسن إن شاء الله.

(٢٦) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ٦٢) وقال: إسناده كالشمس قلت: وهو صحيح على شرط الشيخين.

خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها[٢٧] ـ وهو يسير مع الناس ـ فاستوقفته فوقف لها، ودنا منها، واصغى إليها حتى قضت حاجتها وانصرفت، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين حبست رجالاً من قريش على هذه العجوز. قال: ويلك تدري من هذه؟ قال: لا. قال هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات[٢٨]. هذه خولة بنت ثعلبة.

والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت حتى تقضي حاجتها إلا أن تحضرني الصلاة فأصليها ثم ارجع إليها حتى تقضي حاجتها[٢٩].

---

(٢٧) هكذا نُسبت في أكثر المصادر، وفي « الإصابة » (٤ / ٢٨٩) خولة بنت مالك بن ثعلبة.
قلت: وهي المُجَادِلةُ التي أنزل الله في شأنها صدر سورة المُجادلة ترجمتها في « الاستيعاب » (٤ / ٢٩٠) و « الإصابة » (٤ / ٢٨٩) و « أُسد الغابة » (٦ / ٢٩١) و « الطبقات الكبرىٰ » لابن سعد (٣ / ٥٤٧ و ٣٧٨).

(٢٨) كما في فواتح سورة المجادلة.

(٢٩) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٥٢٩)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٢٦)، والذهبي في «العلو» (ص ٦٣) وقال: هذا إسناد صالح فيه انقطاع أبو يزيد لم يلحق عمر.
كلهم من طريق جرير بن حازم سمعت أبا يزيد المدني وذكره قال الكوثري «مريسي العصر» في تعليقه على «الأسماء والصفات» (ص ٥٢٩): «مختلط، وأبو يزيد لم يدرك عمر ولم يعرفه مالك مع كونه مدنياً».
قلت: أبو يزيد المدني وثقة ابن معين وأخرج له البخاري وروى عنه جماعة من الثقات.
فإذا كان مالك لا يعرفه فقد عرفه غيره. . . وهل الذي يوثقه ابن معين ويروى عنه جماعة من الثقات ولا يعرف فيه جرح ألبتة، لا يعرف.
ومن دونه ثقة من رجال الشيخين لكن في حديثه عن قتادة ضعف، وله أوهام إذا حدث من حفظه.
قلت: وهذا لا يضره إن شاء الله ومن الذي لا يهم أشعبة؟ أمالك؟
وأما قول الكوثري: مختلط =

٣ ـ عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

قال: ما بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وبين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي الى الماء مسيرة خمسمائة عام، والعرش على الماء، والله تعالىٰ فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه(٣٠).

٤ ـ زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها كانت

= فقد قال الحافظ في «التقريب» (١٢٧/١): «مات سنة سبعين بعدما اختلط، لكن لم يحدث في حالة اختلاطه».

وقال في «هدى الساري» (ص ٣٩٥): لكنه ما ضره اختلاطه لأن أحمد بن سنان قال سمعت ابن مهدي يقول كان لجرير أولاد [أصحاب حديث] فلما أحسوا باختلاطه حجبوه فلم يسمع منه في حال اختلاطه شيء...»

قلت: أخرجه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٥٠٥/٢) بإسناد صحيح وما بين المعكوفتين زيادة منه.

فثبت أن هذا التعميم أراد به الكوثري التعتيم!!

وبهذا التحقيق تسقط جميع العلل التي قدح الكوثري بها هذا الأثر إلا ما وافق فيه الذهبي رحمه الله وهو أن الاسناد منقطع فلم يسمع أبو يزيد من عمر لأنه لم يدركه.

قلت: وهي علة ليست قادحة تنجبر بالشواهد والمتابعات وهي متوفرة والحمد لله.

قال ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٢٩١/٤): «وروينا من وجوه عن عمر بن الخطاب» وذكر القصة وذكر لها إسناد آخر عن خليد بن دعلج عن قتادة ثم قال: «وخليد ضعيف سيء الحفظ».

قلت: وبهذا يرتقي هذا الأثر إلى درجة الحسن إن شاء الله.

(٣٠) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٥٠٧)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص ١٠٥ و١٠٦)، والدارمي في «الرد على المريسي العنيد» (ص ٧٣ و٩٠ و١٠٥) و«الرد على الجهمية» (ص ٢٦) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣٩٦/٣).

من طرق عن عاصم عن ذر عن ابن مسعود رضي الله عنه قلت: وهذا إسناد حسن موقوف. =

تفخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: زوجكن أهليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات[٣١].

٥ ــ عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

استأذن ابن عباس رضي الله عنهما على عائشة رضي الله عنها وهي تموت، فقال:

كنت أحب نساء النبي ﷺ إليه، ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طيباً، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سماوات[٣٢]، جاء بها الروح الأمين، فأصبح ليس مسجد من مساجد الله يذكر فيه الله إلا وهي تتلى آناء الليل وآناء النهار[٣٣].

أقوال التابعين رحمهم الله.

١ ـ مسروق رحمه الله

= وقال المصنف في «الأصل» (ص ١٦٠): وذكر سنيد بن داود بإسناد صحيح عنه وذكره».

قلت: وصححه الحافظ الذهبي في «العلو» (ص ٦٤).

(٣١) أخرجه البخاري (٤٠٣/١٣) والترمذي (٣٥٤/٥ ـ ٣٥٥) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٥٢٥)، وابن سعد في «الطبقات (١٠٣/٨).

قلت: وفي لفظ: «إن الله انكحني في السماء».

أخرجه البخاري (٤٠٤/١٣ ـ الفتح)، والنسائي (٨٠/٦) وأحمد (٢٢٦/٣)، وابن سعد في «الطبقات» (١٠٦/٣).

وفي لفظ ثالث: «زوجنيك الرحمن من فوق عرشه وكان جبريل هو السفير بذلك ذكره الحافظ في «الفتح» (٤١٢/١٣) وهو مرسل.

ووقع عند ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١١/٢٢) لفظ آخر نحو الثالث: «. . . وإني الله من السماء وإن السفير جبرائيل عليه السلام».

وزاج الرسول من زينب بنت جحش بأمر الله كما في سورة الأحزاب آية ٣٧ .

(٣٢) أي برأها الله من الإفك كما في سورة النور الآيات (١١ـ٢١) .

(٣٣) أخرجه الدارمي في «الرد على المريسي» (ص ١٠٥) و «الرد على الجهمية» (ص ٧) من طريق ذكوان حاجب عائشة وإسناده صحيح على شرط مسلم .

كان إذا حَدَّث عن عائشة رضي الله عنها قال: حدثتني الصِّديقة بنت الصِّديق رضي الله عنهما حبيبة حبيب الله ﷺ المبرأة من فوق سبع سماوات[٣٤].

٢ ــ سليمان التيمي رحمه الله.

قال: لو سئلت أين الله؟ لقلت: في السماء[٣٥].

٣ ــ ربيعة بن أبي عبد الرحمن رحمه الله.

سئل عن قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾: [طه: ٥].

قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله تعالىٰ الرسالة، وعلى الرسول ﷺ البلاغ، وعلينا التصديق[٣٦].

٤ ـ قول التابعين جملة

---

(٣٤) صححه «المصنف» رحمه الله في «الأصل» (ص ١٦٣)، والذهبي في «العلو» (ص ٩٢).

(٣٥) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/٤٠١) بإسناد لا بأس به، وعلقه البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص ١٥).

(٣٦) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ٩٨) من طريق سفيان الثوري وإسناده صحيح.
وأخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/٨) من طريق سفيان بن عيينة.
قال شيخ الإسلام في «الحموية» (١/٤٤٢ ـ ضمن مجموعة الرسائل الكبرى): رواه الخلال بإسناد كلهم أئمة.
وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٥١٦) من طريق عبدالله بن صالح ابن مسلم.
فثبت هذا الجواب عن ربيعة الرأي والحمد لله قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٥/٣٦٥): «ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك» وأخرجه اللالكائي (٣/٣٩٧) والصابوني في «عقيدة السلف» (١/١١٠) المنيرية والذهبي في «العلو» (ص ١٥) عن أم سلمة مثله قلت: ما روي عن أم سلمة رضي الله عنها لا يصح.
قال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٥/٣٦٥) بعد قوله الآنف: «وقد روي =

قال الأوزاعي: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالىٰ ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة به من صفاته[٣٧].

قول تابع التابعين رحمهم الله تعالىٰ

١ ـ عبدالله بن المبارك رحمه الله.

قال: نعرف ربنا بأنه فوق سبع سماوات على العرش استوى بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية[٣٨].

٢ ـ حماد بن زيد رحمه الله.

قال: الجهمية إنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء

= الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها: موقوفاً ومرفوعاً ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه».

وقال الذهبي في «العلو» (ص ٦٥): «هذا القول محفوظ عن جماعة كربيعة الرأي، ومالك الإمام، وأبي جعفر الترمذي، فأما عن أم سلمة فلا يصح لأنّ أبا كنانه ليس بثقة، وأبو عمير لا أعرفه».

(٣٧)أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٥١٥)، وصححه شيخ الإسلام في «الحموية» (١/٤٤١ ـ مجموعة الرسائل الكبرى)، والمصنف رحمه الله في «الأصل» (٦٩).
قلت: وهو كما قالا.

(٣٨)أخرجه الدارمي في «الرد على المريسي العنيد» (ص ٢٤ و١٠٣) و«الرد على الجهمية» (ص ٥٠). والذهبي في «العلوم» (ص ١١٠) وصححه. وابن عبد البر في «التمهيد» (١٤٢/٧)، والصابوني في «عقيدة السلف») (١١١ منيرية).
قال شيخ الإسلام في «الحموية» (١/٤٤٨) ـ مجموعة الرسائل الكبرى): وروى عبدالله بن أحمد وغيره بأسانيد صحاح عن ابن المبارك وذكره».
وقال المصنف رحمه الله في «الأصل» (ص ٧١): «روى الدارمي والحاكم والبيهقي وغيرهم بأصح إسناد...»
وقال أيضاً (ص ١١٣): وقد صح عنه صحة قريبة من التواتر».

شيء[٣٩].

قـال شيخ الإسـلام. وهذا الـذي كانت الجهميـة يحاولـونـه صـرح به المتـأخرون منهم، وكـان ظهور السنـة وكثرة الأئمـة في عصـر أولئك يحـول بينهم وبين التصريـح بـه، فلمـا بعـد العهـد وخفيت السنة وانقرضت الأئمـة صرحت الجهميـة النفاة بمـا كان سلفهم يحاولونه ولا يتمكنون من إظهاره.

أقوال الأئمة الأربعة واتباعهم

١ ـ الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله.

قـال شيخ الإسـلام: وفي كتاب الفقـه الأكبر المشهـور عنـد أصحاب أبي حنيفة[٤٠] الذي رووه بالإسناد عن أبي مطيـع الحكم ابن عبدالله البلخي، قال أبو حنيفة:

---

(٣٩) أخرجه عبـدالله بن أحمد في «السنـة» (ص ٩ ـ ١٠) من طريقين عن سليمـان بن حرب عنه به.
قلت: وهـو إسناد صحيـح وقد صححـه شيخ الإسـلام رحمه الله في «الحمـويـة» (١/ ٤٤٨ ـ مجموعة الـرسائـل الكبرى) فقـال: «وبإسنـاد صحيح عن سليمان بن حرب الإمام سمعت حماد بن زيد وذكره».

(٤٠) قول شيخ الإسلام: «المشهور عند أصحاب أبي حنيفة إشارة قوية أن «الفقه الأكبر منسوب للإمام أبي حنيفة وليس له وقال الحافظ الذهبي في «العلو» (ص ١٠١): «وبلغنا عن أبي مطيع الحكم بن عبدالله البلخي صاحب الفقه الأكبر».
فتـأمل كيف ينسب كتـاب الى غير صـاحبه ويشتهـر الأمر عنـد الحنفية دون تحقيق حيث طبع عدة مرات منسوبـاً للإمـام أبي حنيفة رحمـه الله ومن أشهر شـرّاحه أبـو منصور الماتريدي الذي ينتمي إليه أكثر الحنفية في العقيدة.
وقد تـأول المـاتريـدي كلام أبي حنيفـة فأفسـد الحق فيه فقـال (ص ١٩): «لأنه بهذا القول يوهم أن يكون له مكان فكان مشركاً».
قلت: تعليق شيـخ الإسلام على كـلام أبي حنيفة النعمـان يبين أن علة كفر منكـر العلو في كلام أبي حنيفة إنما هو انكاره ما دلت عليه الآية القرآنية ﴿**الـرحمن على** =

«ومن قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض، فقد كفر لأن الله تعالىٰ: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾: [طه: ٥] وعرشه فوق سبع سماوات.

قلت: فإن قال إنه على العرش، ولكنه يقول: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟ قال هو كافر لأنه أنكر أن يكون في السماء لأنه تعالىٰ في أعلى عليين وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل.

وفي لفظ سألت أبا حنيفة عمن يقول لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض. قال فقد كفر لأن الله يقول: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾: [طه: ٥]. وعرشه فوق سبع سماوات. قال: فإنه يقول على العرش استوى ولكنه لا يدري العرش في الأرض أو في السماء. قال: «إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر». أ. هـ.

قال شيخ الإسلام: «ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة المشهور عند أصحابه: أنه كفر الواقف الذي يقول: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض، فكيف يكون الجاحد

= **العرش استوى﴾**: [طه: ٥].

وقد علق أيضاً شارح الطحاوية ابن أبي العز الحنفي على رواية أبي مطيع، البلخي فقال (ص ٢٨٨): «ولا يلتفت إلى من أنكر ذلك ممن ينتسب إلى مذهب أبي حنيفة، فقد انتسب إليه طوائف معتزلة وغيرهم، مخالفون له في كثير من اعتقاداته...

وقصة أبي يوسف في استتابة بشر المريسي، لما أنكر أن يكون الله عز وجل فوق العرش مشهورة رواها عبد الرحمن بن أبي حاتم وغيره».

النافي الذي يقول ليس في السماء، أو ليس في السماء أو في الأرض، واحتج على كفره بقوله: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾: [طه: ٥]. قال: وعرشه فوق سبع سماوات.

وبين بهذا أن قوله تعالى: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾: [طه: ٥]. يبين أن الله فوق السماوات فوق العرش، وان الاستواء على العرش دل على أن الله بنفسه فوق العرش.

ثم إنه أردف بتكفير من قال أنه على العرش، استوى، ولكن توقف في كون العرش في السماء أم في الأرض، قال: لأنه أنكر أنه في السماء، لأن الله في أعلى عليين، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل.

وهذا تصريح من أبي حنيفة بتكفير من أنكر أن يكون الله في السماء، واحتج على ذلك بأن الله في أعلى عليين، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل، وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية؛ فإن القلوب مفطورة على الاقرار بأن الله في العلو، وعلى أنه يدعى من أعلى لا من أسفل، وقد جاء اللفظ الآخر صريحاً عنه بذلك فقال: إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر[٤١].

٢ ـ أبو جعفر الطحاوي الحنفي رحمه الله.

ذكر في اعتقاد أبي حنيفة وصاحبيه رحمهم الله ما يوافق هذا، وأنهم أبرأ الناس من التعطيل والتجهم، وقال في عقيدته

---

(٤١) وانظر «مجموع الفتاوى» (٥/٤٨).

المعروفة: «وهو مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الاحاطة خلقه»[42].

٣ ـ الإمام مالك بن أنس رحمه الله.

قال: «الله في السماء، وعلمه في كل مكان لا يخلو منه مكان»[43].

وسئل رحمه الله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾: [طه: ٥]. كيف استوى؟

فقال رحمه الله: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول والايمان به واجب، والسؤال عنه بدعة..»[44].

---

(٤٢) انظر «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي (ص ٢٨٠).

(٤٣) أخرجه عبدالله بن أحمد بن حنبل في حنبل في «السنة» (٣٤)، وأبو داود في «مسائل الإمام أحمد (ص ٢٦٣)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/٤٠١)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/١٣٨) من طريق سريح بن النعمان قال حدثنا عبدالله بن نافع وذكره.
قلت: وهذا إسناد صحيح، عبدالله بن نافع هو الصائغ ثقة صحيح الكتاب في حفظه لين وهو من أثبت الناس في مالك وانظر التهذيب (٦/٥١ ـ ٥٢).
وسريح بمهملة فراء ثقة يهم قليلاً، فثبت الأثر وبطل النظر والحمد لله رب العالمين.

(٤٤) أخرجه الدارمي في « الرد على الجهمية » (ص ٣٣) وقال: « وصدق مالك: لا يعقل منه كيف، ولا يجهل منه الاستواء، والقرآن ينطق ببعض ذلك في غير آية»، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/٣٩٨)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/١٥١)، والصابوني في «عقيدة السلف» (١/١١٠ ـ ١١١) وأبو نعيم في «الحلية» (٦/٣٢٥ ـ ٣٢٦).
لم يذكر في رواية اللالكائي والصابوني وابن عبد البر شهود جعفر بن عبدالله للحادثة، وأما في رواية أبي نعيم ففيها ذلك، وأما في رواية الدارمي ففيها أن جعفر بن عبدالله رواها عن رجل. وفي ذلك احتمالات:
١ ـ أن يكون مهدي بن جعفر قد اضطرب فيها فرواها بهذه الوجوه. =

٤ ـ الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله.

قال في كتاب «التمهيد»(٤٥) في شرح الحديث الثامن لابن شهاب: «هذا حديث ثابت من جهة النقل، صحيح الإسناد لا يختلف أهل الحديث في صحته، وهو حديث منقول من طرق متواترة، ووجوه كثيرة من أخبار العدول عن النبي ﷺ وفيه دليل

= ٢ ـ أن تكون الحادثة وقعت مرتين، مرة شهدها جعفر، ومرة سمعها ممن شهدها.
٣ ـ أن يكون حضرها ورواها عمن حضرها معه.
والحادثة رواها البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٥١٥ ـ ٥١٦) بإسنادين آخرين.
الأول: من طريق عبدالله بن وهب يقول: كنا عند مالك وذكره
قلت: صححه الحافظ الذهبي في «العلو» (ص ١٠٣) فقال: «وساق البيهقي بإسناد صحيح عن أبي الربيع الرشديني عن ابن وهب».
وجَوَّد اسناده أيضاً الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/٤٠٦ ـ ٤٠٧) فقال: «وأخرج البيهقي بسند عن عبدالله بن وهب.
الثاني: من طريق يحيى بن يحيى. وأخرجه أيضاً في «الاعتقاد» (ص ٧١).
قلت: والقصة لا ريب في ثبوتها عن مالك بن أنس تلقاها أهل السنة بالقبول واستحسنها العلماء وتداولها في مصنفاتهم.
قال ابن تيمية رحمه الله في «الاكليل» (ص ٥٠): «وقد تلقى الناس هذا الكلام بالقبول، فليس في أهل السنة من ينكره».
وقال في «شرح حديث النزول» (ص ١٤٥): وقول مالك من أنبل جواب وقع في هذه المسألة وأشده استيعاباً لأن فيه نبذ التكييف وإثبات الاستواء المعقول، وقد إئتم أهل العلم بقوله واستجودوه واستحسنوه»، واحتج به أيضاً في «الحموية» (١/٤٤٣ ـ مجموعة الرسالة الكبرى) وفي «مجموع الفتاوى» (٥/٣٦٥).
وقال مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي في «العلوم» (ص ١٠٤): «هذا ثابت عن مالك، وتقدم نحوه عن ربيعة شيخ مالك، وهو قول أهل السنة قاطبة».
وذكره البغوي في «شرح السنة» (١/١٧١) تعليقاً لكنه بصيغة الجزم.

(٤٥) انظره (٧/١٢٨ ـ ١٢٩) طبع المغرب وهو بحث نفيس ماتع جادت به قريحة هذا الإمام الهمام، ولولا أن يتدارك القارىء الملل لأتيت به كاملاً على عَجَل.

على أن الله عز وجل في السماء على العرش من فوق سبع سماوات، كما قالت الجماعة وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: إن الله عز وجل في كل مكان، وليس على العرش، والدليل على صحة ما قالوه أهل الحق في ذلك...» أ. هـ مختصراً.

٥ ـ عبدالله بن أبي زيد القيرواني الملقب بـ «مالك الصغير».

«وأنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته، وأنه في كل مكان بعلمه»[٤٦].

٦ ـ الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله.

نقل عنه ابن ابي حاتم أنه قال: القول في السنة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم، وأخذت عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما الاقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن الله تعالىٰ على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء، وأن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء.

٧ ـ اسماعيل بن يحيى المزني.

قال في رسالته في «السنة» التي رواها أبو طاهر السلفي عنه بإسناده: «... عالٍ على عرشه، وهو دان بعلمه من خلقه أحاط علمه بالأمور...» أ. هـ ـ

٨ ـ سعد بن علي الزنجاني.

---

(٤٦) الرسالة (ص ٢٠) طبع المغرب.

قال: «وهو فوق عرشه بوجود ذاته».

٩ ـ أبو القاسم الطبري اللالكائي.

قال: «سياق ما روى في قوله تعالىٰ: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾: [طه: ٥] وأن الله على عرشه في السماء»(٤٧).

١٠ ـ الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

الخلال في كتاب «السنة» بإسناده: قيل لأحمد بن حنبل ربنا تبارك وتعالى فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وقدرته وعلمه بكل مكان.

أقوال أئمة أهل الحديث الذي رفع الله منازلهم في العالمين رحمهم الله

١ ـ إسحاق بن راهويه رحمه الله.

---

(٤٧) انظر «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/٣٨٧).

(٤٨) صحيح. رجاله ثقات عبدالله بن أحمد هو ابن الإمام كان رحمه الله ثبتاً فهماً ثقة، حَدَّث عن أبيه ولم يكن في الدنيا أورى منه عن أبيه رحمه الله لأنه روى المسند والتفسير.

ومن دونه هو يوسف بن موسى القطان ثقة من شيوخ البخاري سمعه منه الخلال فثبت الإسناد والحمد لله رب العباد.

قلت: المنقول عن هذا الإمام الهمام في هذا الباب كثير مبارك فيه، فهو العالم الرباني والصِّديق الثاني حامل لواء السنة والصابر في المحنة، ومن ذلك ما جاء في كتابه «السنة» (ص ٧٥): «. . . والله عز وجل فوق العرش، والكرسي موضع قدميه، وهو يعلم ما في السماوات والأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى، وما في قعر البحار ومنبت كل شعرة وشجرة، وكل زرع وكل نبات ومسقط كل ورقة، وعدد كل كلمة، وعدد الحصى والرمل والتراب، ومثاقيل الجبال، وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم، ويعلم كل شيء، لا يخفى عليه من ذلك شيء وهو على العرش فوق السماء السابعة. . . وهو بائن من خلقه لا يخلو من علمه مكان» أ. هـ. مختصراً.

قال حرب بن اسماعيل الكرماني صاحب أحمد قلت لاسحاق بن راهويه: قول الله عز وجل: **﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلاّ هو رابعهم﴾**: [المجادلة: ٧]، كيف تقول فيه؟ قال: حيثما كنت، فهو أقرب إليك من حبل الوريد وهو بائن من خلقه، ثم قال: وأعلى كل شيء من ذلك وأثبته قول الله عز وجل: **﴿الرحمن على العرش استوى﴾**: [طه: ٥].

٢ ـ عثمان بن سعيد الدارمي.

قال في «الرد على المريسي العنيد» (ص ٢٥): «وقد اتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين أن الله في السماء».

وقال (ص ٧٩): «لكنا نقول رب عظيم، وملك كريم كبير، نور السماوات والأرض، وإله السماوات والأرض، على عرش مخلوق عظيم فوق السماء السابعة...»

وقال (ص ٨٢): «... بل هو على عرشه، فوق جميع الخلائق في اعلى مكان كما قال الله تعالىٰ: **﴿وهو القاهر فوق عباده﴾**: [الأنعام: ١٨ و٦١].

وقال في «الرد على الجهمية» (ص ٢٠) «... آمنا به، وعلمنا يقيناً بلا شك أن الله فوق عرشه فوق سماواته، كما وصف بائن من خلقه».

قال المصنف رحمه الله عن كتابي الدارمي: وكتاباه من أجل الكتب المصنفة في السنة وانفعها، وينبغي لكل طالب سنة مراده الوقوف على ما كان عليه الصحابة والتابعون والأئمة أن يقرأ

(٤٩)انظر (١٣/٤٠٣ ـ الفتح).

كتـابيه، وكـان شيخ الإسـلام ابن تيمية رحمـه الله يوصى بهـذين الكتابين أشد الوصية ويعـظمهما جـداً، وفيهما من تقرير التـوحيد والأسماء والصفات بالعقل والنقل ما ليس في غيرهما.

٣ ـ الامام محمد بن اسماعيل البخاري رحمه الله

قـال في كتاب التـوحيـد من «صحيحـه» بـاب قـول الله عـز وجـل: ﴿**وكان عـرشه على المـاء**﴾: [هـود: ٧]. ﴿**وهـو رب العرش العظيم**﴾: [التوبة: ١٢٩].

قال أبو العالية: استوى إلى السماء ارتفع، فسواهن خلقهن، وقال مجاهد: استوى علا على العرش.

ثم ساق البخاري حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها: أنهـا كـانت تفتخـر على نسـاء رسـول الله ﷺ، فتقـول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات[٥٠].

٤ ـ الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله.

قـال في رسـالتـه المشهـورة في «السنـة»[٥١]: «وأن الله فـوق سماواته على عرشه بائن من خلقه.

أقوال أئمة التفسير رحمهم الله

١ ـ الإمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله.

---

(٥٠) مضى برقم (٣١).

(٥١) يوجد لأبي عثمان الصابوني رسالة نافعة مطبوعة ضمن مجموعة الـرسائـل المنيريـة (١/١٠٥ ـ ١٣٥) باسم «عقيدة السلف وأصحاب الحديث».

قلت: فلعلها هي دون جزم، وإن كنت أرجح ذلك فقـد نقل شيـخ الإسلام فصـلاً طويلاً من الرسالة المسماة «السنـة» في كتابـه القيم: «شرح حـديث النزول» (ص ٥٠ ـ ٥١) يوافق ما في المطبوعة والله تعالى أعلم.

قال في «تفسيره»[٥٢] في قول الله عز وجل: ﴿ثم استوى على العرش الرحمن﴾: [الفرقان: ٥٩] أي علا عليه.

٢ ـ الإمام الحسين بن مسعود البغوي رحمه الله.

قال في «تفسيره» الذي هو شجى في حلوق الجهمية والمعطلة في قوله تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾... **وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء ثم قال: وأما أهل السنة فيقولون الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف يجب على الرجل ان يؤمن بذلك، ويكل العلم فيه الى الله تعالى**[٥٣].

٣ ـ الامام أبو عبدالله القرطبي رحمه الله.

قال: «ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته. قال الامام مالك رحمه الله: الاستواء معلوم ـ يعني في اللغة ـ والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة، والاستواء في لغة العرب العلو والاستقرار»[٥٤]. وقال في شرح الأسماء الحسنى: «وأظهر الأقوال ما تظاهرت عليه الآي والأخبار، وقال جميع الفضلاء الأخيار: إن الله على عرشه كما أخبر في كتابه وعلى لسان نبيه بلا كيف بائن من جميع خلقه، هذا مذهب السلف الصالح فيما نقل عنهم الثقات».

أقوال أئمة اللغة رحمهم الله

١ ـ أبو عبدالله محمد بن الأعرابي رحمه الله. عن نفطويه

(٥٢) انظر «جامع البيان في تفسير القرآن» لابن جرير (١٩/١٩).

(٥٣) انظر «معالم التنزيل» للبغوي (٤٨٨/٣) طبعة المنار.

(٥٤) انظر «الجامع لأحكام القرآن» (٢١٩/٧ ـ ٢٢٠).

حدثنا داود بن علي قال: كنا عند ابن الأعرابي فأتاه رجل فقال: يا أبا عبدالله، ما معنى قوله تعالى: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾: [طه: ٥]؟ قال: هو على عرشه كما أخبر، فقال يا أبا عبدالله إنما معناه استولى. فقال: اسكت، لا يقال استولى على الشيء حتى يكون له مضاد إذا غلب أحدهما قيل استولى كما قال النابغة.

إلا لمثلك أو من أنت سابقه
سبق الجواد اذا استولى على الأمد[٥٥]

---

(٥٥)أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٥/٢٨٤) واللالكائي في شرح « أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » (٣/٣٩٩) والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص ٥٢٣) ، والذهبي في « العلو » (ص ١٣٣) ، وعزاه ابن حجر في « فتح الباري » (١٣/٤٠٦) إلى الهروي في كتابه « الفاروق » وذكره ابن منظور في « لسان العرب » (١٤/٤١٤) .

قلت: وإسناده صحيح .

وهذا بحث نفيس من إمام في اللغة يدحض أقوال الجهمية ومن شايعهم الذين فسروا الاستواء بالاستيلاء، وأن هذا التفسير لا تعرفه لغة العرب . قال ابن الأعرابي: أرادني ابن أبي داؤد أن أطلب له في بعض لغات العرب ومعانيها ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾: [طه: ٥] استوى بمعنى استولى، فقلت له والله ما يكون هذا ولا وجدته.

قلت: أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/٢٨٣)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/٣٩٩) وغيرهما وإسناده صحيح .

وقال ابن عبد البر في «التمهيد» (٧/١٣١): «. . . وقولهم في تأويل استوى: استولى فلا معنى له لأنه غير ظاهر في اللغة ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة، والله لا يغالبه ولا يعلوه أحد، وهو الواحد الصمد» .

قول أبي الحسن الأشعري رحمه الله[٥٦].

قال في «الإبانة عن أصول الديانة» (ص ١٠٥): «ذكر الاستواء على العرش. إن قال: ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: نقول: إن الله عز وجل يستوي على عرشه استواء يليق به من غير طول استقرار كما قال: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾: [طه: ٥]. . . فالسماوات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السماوات قال: ﴿**أأمنتم من في السماء**﴾: [الملك: ١٤]، لأنه مستو على العرش الذي فوق السماوات، وكل ما علا فهو سماء والعرش أعلى السماوات، وليس إذا قال: ﴿**أأمنتم من في السماء**﴾: [الملك: ١٤]، يعني جميع السماوات وانما أراد العرش الذي هو أعلى السماوات. . .» أ. هـ.

وفي (ص ١٠٨ ـ ١١٩) نقد كلام المعتزلة القائلين ان الاستواء يعني الاستيلاء وقال في نهاية هذا البحث العزيز: «وروت العلماء أن رجلاً أتى النبي ﷺ بأمة سوداء فقال يا رسول الله إني أريد أن اعتقها في كفارة، فهل يجوز عتقها؟ فقال لها النبي ﷺ: «أين الله» قالت: في السماء. قال: «فمن أنا» قالت: أنت رسول الله. فقال النبي ﷺ: اعتقها فإنها مؤمنة». وهذا يدل على أن الله تعالى فوق عرشه فوق السماء فَوقية لا تزيده قرباً من العرش» أ. هـ.

---

(٥٦) حاول بعض الناس أن يشكك فيما ينقل عن أبي الحسن الأشعري من الأقوال المصرحة بأن الله في السماء والتي تقطع جهيزه المؤولة المعطاة الذين ينتسبون إليه جهلاً وزوراً.

وهذا التشكيك ذو أربع شعب

١ ـ أن كتاب «الإبانة» ليس من تصنيف أبي الحسن الأشعري. =

وقـال في «مقـالات الاسـلاميين» (ص ٢٩٠) : «. . . وأن الله على عـرشه كمـا قـال: ﴿الـرحمن على العـرش استـوى﴾ : [طه: ٥]، ثم قال (ص ٢٩٧):

«فهذه جملة ما يأمرون ويستعملونه ويرونه وبكل ما ذكرنا من قـولهم نقول وإليـه نذهب ومـا توفيقنـا إلا بالله وهـو حسبنـا ونعم الوكيل وبه نستعين وعليه نتوكل وإليه المصير».

---

٢ ـ أن «الإبانة» ليس آخر كتاب صنفه أبو الحسن الأشعري.
٣ ـ أن «الإبانة» صنفه أبو الحسن الأشعـري لاستدراج مجسمـة الحنابلة وانقـاذهم وأنه لم يتعقد ما فيه.
٤ ـ أن بعض الحنابلة دس هذه العبارات في كتب أبي الحسن الأشعري.
وقبل البدء في تصحيـح هذه الشبهـات وكشف عوارهـا نذكـر أن الأمر هـذا ذو بال للأسباب الآتية:
١ ـ أن السواد الأعظم من المسلمين أشاعرة في العقيدة.
٢ ـ أن الأشعرية ليس لها من مذهب أبي الحسن إلا الاسم.
أما الشبهة الأولى فقد أصبت منها مقتلاً والحمد لله في كتابي «مؤلفات سعيد حوى دراسـة وتقويمـاً» (ص ١٠٤ ـ ١٠٧) فاغنى عن الاعـادة ومن شاء الـزيادة فلينـظر «رسالة في الذب عن الأشعري» تأليف أبي القاسم بن درباس.
وأما الشبهة الثانية فقد صرح أهل العلم أن في «الإبانـة» هو الـذي استقر عليـه أمر الأشعري فيما كان يعتقده.
قال أبو القاسم بن درباس في رسالته (ص ١٠٧) «. . . فـاعلموا معشـر الإخوان وفقنـا الله وإياكم لـدين القويم وهـدانا الله أجمعين للصـراط المستقيم بـأن كتـاب الإبانة عن أصول الديانة الذي ألفه الإمام أبو الحسن على بن إسمـاعيل الأشعـري هـو الـذي استقـر عليــه أمـره فيـها كـان يـعتقـده ، وبمـا كـان يـدين الله سبحانه وتعالى بعد رجـوعه عن الاعتـزال بمن الله ولطفـه، وكل مقـال تنسب الآن ممـا يخـالف مـا فيـه فقـد رجع عنهـا وتبـرأ إلى الله سبحـانـه منهـا، كيف عـلى أنـه ديـانـتـه الـتي يـديـن الله سـبـحـانـه بهـا ، وروى وأثـبـت ديانة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث الماضين وقـول أحمد بن حنبـل رضي الله عنهم أجمعين، وأنه ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهل يسوغ أن يقال أنـه رجع عنه إلى غيـره، فإلى مـاذا يرجـع تراه، يـرجع عن كتـاب الله وسنة نبي الله ، =

خلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون وأئمة الحديث الماضين، وقد علم أنه مذهبهم، ورواه عنهم هذا لعمري ما لا يليق نسبته الى عوام المسلمين كيف بأئمة الدين، أو هل يقال أنه جهل الأمر فيما نقله عن السلف الماضين مع فنائه جل عمره في استقراء المذاهب وتعرف الديانات، هذا مما لا يتوهمه منصف، ولا يزعمه إلا مكابر مسرف، ويكفيه معرفته بنفسه أنه على غير شيء وحسبك أيها المنصف أن تعلم أن ابن عساكر رحمه الله ألف كتابه الفذ «تبيين كذب المفتري» لدحض هذه الشبهة وأمثالها.

وأما الشبهة الثالثة التي حمل لواءها ابن الاهوازي قديماً ودندن حولها الكوثري «مريسي العصر» في تعليقه على تبيين «كذب المفتري» (ص ٢٨) فقال يصف «الإبانة»: وهي على طريقة المفوضة في الإمساك عن تعيين المراد وهو مذهب السلف وأراد بها انتشال المتورطين في أوحال التشبيه من الرواة والتدرج بهم الى مستوى الاعتقاد الصحيح . . » .

قلت: لقد نسب إلى السلف ظلماً وزوراً مذهب التفويض وهم منه براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

وكذلك أيد ابن الأهوازي فيما ذهب اليه.

وقد علق الدكتور على بن محمد بن ناصر الفقيهي على ذلك فقال في تعليقه على رسالة ابن درباس (ص ١٢١ ـ ١٢٢): «فهو يصر (أي الكوثري) بهذا، أنه لم يعتقد ما فيها، وإنما عملها من أجل هؤلاء المتورطين في أوحال التشبيه لينقذهم مما هم فيه، ومن هؤلاء الذين تورطوا في أوحال التشبيه الرواة ـ ومن الرواة ـ رواة أحاديث رسول الله ﷺ الأحاديث التي اشتملت على صفات الباري جل وعلا، وهؤلاء الرواة عمن نقلوا هذه الأخبار المروية، إنهم نقلوها عن صحابة رسول الله الذين تلقوها عن المصطفى ﷺ، ومعنى هذا أن كل من روى هذه الأحاديث واعتقد ما فيها فهو مشبه وقوله: إن السلف مفوضة ـ كلام في غاية السقوط ـ إن السلف رضوان الله عليهم ليسوا حملة أسفار لا يفهمون ما ينقلون وهذا اتهام لهم بما لا يجوز صدوره من عالم عرف لأولئك الأخيار حقهم من التوقير والاحترام . . . »

وأما الشبهة الرابعة فنقول: إن الدعاوى العارية عن الدليل لا تنفق في سوق البحث والتحقيق فهذا الوهم بالرد حقيق وبالله التوفيق.

ومما سبق يتبين

أن أبا الحسن الأشعري سلفي العقيدة كما في كتابه «الإبانة» والذي أثبتها له أكابر العلماء. =

= وهاك ما كتبته من قبل في كتابي «مؤلفات سعيد حوى دراسة وتقويم» (ص ١١١ - ١١٣) بعد أن بينت اضطراب متأخري الاشاعرة:
«لقد بات يقيناً أن الأشعري رأس المذهب المنسوب إليه كان سلفياً على مذهب أهل الحديث، بينما الأشاعرة انتهوا الى الحيرة والتردد فالرجوع إلى عقيدة السلف، وذكرنا أئمتهم فهذا الجويني في «الارشاد» و«الشامل» قد ذهب إلى التأويل في جميع آيات الصفات، ومن ثم عاد وترك ما صرح به فيهما، وذهب إلى خلاف ذلك كما في «العقيدة النظامية».
فما السر وراء ذلك؟ هل اتبع تلاميذ الأشعري خطوات استاذهم كما يزعمون؟ هل بقوا على المعالم التي ذكرها بين دفتي «الإبانة» وفي ثنايا «المقالات» وفي سطور «رسالة أهل الثغر»؟
الحقيقة تتجلى كالشمس في رابعة النهار قائلة أن متأخري الأشاعرة حرفوا مذهب الأشعري الذي يعد امتداداً لأقوال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، وطمسوا معالم السبيل، ولم يبق من أشعرية أبي الحسن إلا الاسم، أليس من الظلم أن ينسب مذهب التأويل وعلم الكلام إلى أبي الحسن وقد تبرأ منهما؟
والذي يوضح ما ذهبنا إليه أن مذهب أبي الحسن رحمه الله في الصفات هو مذهب السلف رحمهم الله الإيمان بها دون تحريف ولا تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل، بينما مذهب تلاميذه اثبات الصفات العقلية وهي سبع صفات وبعضهم تكرم وزادها ست صفات، ونفى الصفات الفعلية...
هذه الحقائق نوردها على افتراض صحة زعمهم أن للأشعري مذهباً أسسه، ورفع قواعده إلا أن هذه الحجة داحضة لقول الأشعري رحمه الله: «وبما كان أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل - نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته - قائلون ولمن خالف قوله مجانبون لانه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل».
اذن فالأشعري لم يؤسس مذهباً مستقلاً بل يعد نفسه جزءاً من أهل الحديث، وامتداداً لما كان عليه إمام أهل السنة أحمد رحمه الله، والأولى بالأشاعرة إن كانوا صادقين في ادعائهم أنهم على سنن أبي الحسن رحمه الله أن يعلنوا انتسابهم للإمام أحمد فمن المعلوم بداهة أن اللاحق ينسب للسابق، فهل نحن فاعلون؟
فإن لم يفعلوا ولن يفعلوا فاعلم قارئي الكريم أنهم لبسوا ثوب الأشعري تمويهاً وانتسبوا إليه تدليساً، ليخدعوا عامة الناس ببدعة علم الكلام فيجرهم سيل التأويل... «احذر أيها المسلم هذه الأحابيل ودع عنك علم الكلام فإنه أباطيل، واعلم أن الأشاعرة المتأخرين موهوا ومخرقوا واعتزلوا ذلك السبيل» أ. هـ

= بتصرف.

وفيهم يقول ابن قيم الجوزية في خاتمة كتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية»:

«أفيظن أفراخ المعتزلة ومخانيث الجهمية ومقلدو اليونان أن يضعوا لواء رفعه الله تعالى، وينكسوا علماً نصبه الله تعالى، ويهدموا بناء شاده الله ورفعه، ويقلقوا جبالاً راسيات شادها وأرساها، ويطمسوا كواكب نيرات أنارها وأعلاها، هيهات هيهات بئسما منتهم أنفسهم لو كانوا يعقلون، ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعملون» أ. هـ.

تمت بحمد الله وتوفيقه.

المحتويات

الموضوع الصفحة



مطابع القبس التجارية